أئمة الأدب

٢



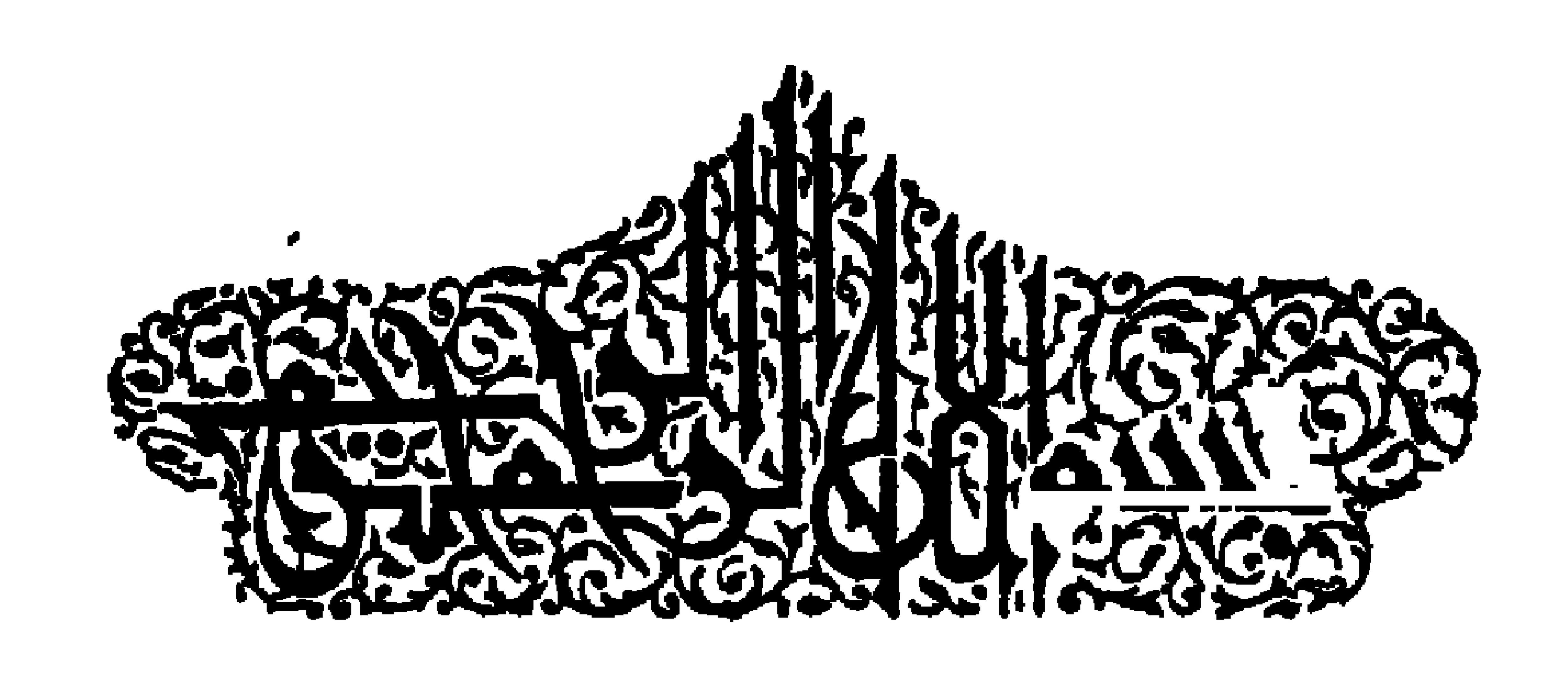
عنيت بنشره

مكتبة عرفة بدمشق

١٣٤٩ هـ

١٩٣٠ م

مطبعة الاعتدال



الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خـــاتم المرسلين و آله وصحبه والتابعين

الامة العربية اليوم في دور يقظة عامة ونهضة شـــاملة في العلوم والاداب والفنون والعمران : والادب خير مايعينها على هذه النهضة ويمهد لها سبلها : والادب العربي فيحاجةالىاخراجه للناس بصورةموجزة وشكل أخاذ يواءم اذواق الناشئين ويرقى به في مراقي الدرس الحديث

ورسائل الاستاذ الجليل شاعر سوريا الكبير خليل مردم بك خير مايكتب في هذا الصدد، وحسب مكتبة عرفه خدمة للادب وجزاء على جهودها اخراج مثل هذه الرسائل . وأملها وطيد بما سيتلقاها به محبو الادب ومدرسوه والراسخون فيهمن سرور وجذل وما سيقدمونه اليها من مساعدة ومؤازرة. والله الموفق

الناشر

عصر ابن المقفع

نشأ ابن المقفع في اواخر الدولة الاموية يوم كان عنصره الفارسي مغلوبا على امره خاضعا للعرب في الدين والدنيا والعرب اذ ذاك يسمون الفرس بالموالي بعد ان كانوا يسمونهم في الجاهلية ابناء الاحرار .

وشهد ابن المقفع ثورة الفرس على العرب تلك الثورة التي قادها ابو مسلم الخراساني فكانت اكبر عامل في قيام الدولة العباسية وتقويض الدولة الاموية فتنفس الفرس الصعداء وثأروا لتيجان الاكاسرة من عمائم العرب .

ولقد كان مروان بن محمد آخر خلفاء الامويين المتعصبين للعرب يحذر قومه من الدعوة العباسية المستنصرة بالعجم اذ كتب عنه كاتبه عبد الحميد بن يحيى رسالة لفرق العرب حين فاض العجم من خراسان بشعار السواد قائمين بالدولة العباسية قال فيها :

« فلا تمكنوا ناصية الدولة العربية من يد الفئة العجمية واثبتوا ريثما تنجلي هذه الغمرة ونصحوا من هذه السكرة فسينضب السيل وتمحى آية الليل والله مع الصابرين والعاقبة للمتقين »

ولكن قضي الامر فانقرضت دوله بني امية وقامت دولة بني العباس ولم ينس بطلهم ابو جعفر المنصور صنيعة الفرس فأقصى العرب عن اعمال الدولة واستوزر من الفرس واستعمل واستقضى ·
وكان من الوصايا التي بنيت عليها سياسة الدعوة العباسية : « ان قدرت ان لا تبقى بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل »

على ان ابا جعفر كان احزم من ان يدع غـلاة الفرس يعيدون الدولة الفارسية كسروية كما كانت قبل الفتح العربي فكر بهم ومكروا به حتى قتل ابا مسلم راميا من وراء ذلك ان يضع حدا لاحلامهم وله من خطبة بالمدائن بعد قتل ابي مسلم :
« ان من نازعنا عروة هذا القميص اجزرناه خبيء هـذا الغمد وان ابا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا على ان من نكث بنا فقد اباح دمه ثم نكث بنا فحكمنا عليه حكمه على غيره ولم تمنعنا رعاية الحق له من اقامة الحق عليه »

وكأن هذا الدواء لم يكن حاسما فخرج في خراسان رجل مجوسي اسمه سنباذ كان من اصحاب ابي مسلم وصنائعه فاظهر غضباً لقتل ابي مسلم واعلن انه يريد ان يمضي الى الحجاز ويهدم الكعبة وتبعه كثير من المجوس والمزدكية والرافضة والمشبهة ولكن المنصور ادمهم ايضا ·

واخذ ابو مسلم بعد قتله صفة دينية فالمسلمية وهم اصحابه يعتقدون امامته ويقولون انه حي يرزق وانه سيخرج اليهم وعلى هذه العقيدة قام اسحق التركي احد اصحاب ابي مسلم وادعى ان ابا مسلم رسول بعثه زرادشت صاحب دين الفرس ·

فانظر كيف حاول غلاة الفرس ان يستعيدوا ملكهم ودينهم ولغتهم ولكن بالرغم من كل ذلك فقد كان من المستحيل ان تحقق امانيهم بعد ان دان اكثر الفرس بالاسلام وشاعت بينهم العربية ·

ومهما يكن فلقد اصبح لهم في دولة بني العباس من نفوذ الامر وخطر الشأن ما ليس بالقليل فانتعشت عاداتهم وبعثت اعيادهم كالنوروز والمهرجان والرام والسذق (١) واتخذ الخلفاء البستهم كالقلنسوة والاثواب المزركشة بالذهب ورويت اخبار ملوكهم وترجمت كتب ادبهم وحكمتهم ·

(١) النوروز ومعناه اليوم الجديد عيد للفرس عند نزول الشمس اول الحمل. والمهرجان عيد يكون عند نزول الشمس اول الميزان· والرام هو اليوم الحادي والعشرون من كل شهر من شهور الفرس وهو يوم يلتذون به ويفرحون ومعنى الرام الراحة والفرح والسذق تعريب سذه وهي ليلة الوقود المشهورة عند الفرس الواقعة في العاشر من شهر بهمن·

ذلك الانقلاب في السياسة والاجتماع ترك اثرا عميقا في لادب العربي و كان فاتحة عصر سار فيه الادب اشواطاً بعيدة وطبعه بطـابع استساغته الاذواق بل قل انه هيأ اذواقنا لفهمه والانس به والارتياح اليه والاهتزاز له فالشعر العربي مثـلا في العصر العباسي اقرب الى شعورنا منه في العصر الاموي وصدر الاسلام والجاهلية ·

است من المغالين في اثر الفرس ـفي الادب العربي فانا لا ادعي ان تطور ادبنا كان نتيجة سيصرة الآداب الفارسية عليه ولكني لا اجحد اثر العقلية الفارسية الذي كان عنصرا قويا في تطور الادب العربي وليس هنا محل الافاضة في اقامة الحجة على ان العرب اثروا في الفرس اضعاف ما اثر الفرس في العرب ولعلنا نعالج هذا الموضوع مفصلا عند الكلام على ابن العميد والصاحب ابن عبد ولكن لامندوحة من الالمام به هنا على سبيل الايجاز ·

دان الفرس بدين العرب بعد الفتح وتسموا باسمـائهم وتعلموا لغتهم وهجروا الخط الفارسي واصطنعوا الحروف العربية واصبحت اللغة الفارسية بعد الفتح غيرها قبله لكثرة ما دخل عليها من الالفاظ العربية فالفرس والحـالة هذه رفدوا الآداب

العربية كستعربين مطبوعين بطابع الروح العربية ومأخوذين بسحرها الا ما اقتضته طبيعة العرق والارث من طراز التفكير والفهم والحس والخيال ·

لم يكن الانقلاب العباسي انقلابا سياسيا فحسب بل نجم عنه انقلاب في الحياة الاجتماعية والفكرية وهبت على اثره حركة علمية قوية فدونت الكتب وترجمت كتب اليونان والفرس وظهرت اراء في الدين والفلسفة ورفعت الشعوبية عقيرتها ونغض الزنادقة والملاحدة رؤوسهم وقاموا بدعوات مصدرها دين زرادشت ومزدك ·

اما الحياة اذ ذاك فقد اقتضت طبيعة الحضاره ان يرتاح القوم الى متعها ولذاتها ويأخذوا بنصيب غير يسير من شهواتهم فشاع الغناء والشراب وظهر الخلعاء والمجان والاباحيون على كثرة المنكرين لتلك الاعمال من العلماء الاتقياء والزهاد الصالحين ·

كل ذلك فتح للادب العربي ابوابا لم تكن مفتوحة على مصراعيها من قبل فتنوعت الاغراض وكثرت الفنون وتعددت المناحي وظهر التأنق في النثر والشعر وطابت الرقة والدماثة فضلا عما اوحته تلك الحياة من سمو في الخيال وعمق في التفكير مع

المحافظة على فصاحة العربية والاخذ باساليبها ٠

والحق ان مرونة العربية وسعة مادتها ساعدها على تقبل تلك العناصر الجديدة وصبغها بصبغة عربية لا عجمة فيها وذلك من خصائصها التي مازتها عن كثير من اللغات ولولا ذلك لما اتيح لها ان تكون لغة الدين والسلطان والعلم والادب ٠

هذا هو العصر الذي كان ابن المقفع احد اعلامه ومفاخره ٠

شعب ابن المقفع

ابن المقفع فارسي الاصل والفرس شعب آري عريق في الملك والحضارة والعلم والحكمة والادب وله دين واساطير ٠واسم نبيهم زرادشت واسم كتابهم افستا وتعاليم زرادشت موسسة على مبدأين متقابلين وهما هرمز او الله مبدأ الخير واهرمن مبدأ الشر وزروان اكيرين اي الوقت غير المحدود وهو فوق المعبودين السابقين في القدرة والمنزلة ٠وشريعته جارية على مبادىء حياة الافراد وشوءونهم من حيث الحقوق والواجبات ٠ ولقد دعا الى عبادة النار ونبه الى ثواب الاخرة وعقابها ٠

ومن اديان الفرس ايضا دين ماني القائل بان مبدأ العالم كونان احدهما نور والاخر ظلمة. وكذلك دين مزدك القائل بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات وترك الاستبداد والمشاركة في الحرم والاهل وفعل الخير وترك القتل وادخال الآلام على النفوس .

وكان لملوكهم عناية بالغة في العلم والادب كالضحاك واردشير بن بابك وابنه سابور ولقد ترجمت فلسفة اليونان وحكمة الهنود الى الفارسية فضلا عما الفه الفرس انفسهم والعرب يقرون لهم بالعلم حتى ان النبي عليه السلام قال : « لو كان العلم معلقا بالثريا لتناوله قوم من ابناء فارس »

اما كتب ادبهم وحكمتهم فالفضل في بقائها او التعريف بها للعرب ومن كتب بالعربية من الذين ترجموها او اشاروا اليها لان الاصول الفارسية درست ومن اجلها كتاب جاويذان خرد الذي يقال انه اقدم كتاب في العالم وضعه الملك اوشهنج ونقله من اللسان القديم الى اللسان الفارسي كنجور بن اسفنديار ونقله الى العربية الحسن ابن سهل ، وكتاب هزار افسان ومعناه الف خرافة وهو اصل الف ليلة وليلة ، وكتاب روزبة اليتيم ، وكتاب خرافة ونزهة ،

وكتاب الدب والثعلب ، وكتاب مسك زنانة وشاه زنان ، وكتاب نمرود ملك بابل ، وكتاب رستم واسفنديار ، وكتاب بهرام شوس ، وكتاب شهر يزاد مع ابرويز ، وكتاب الكارنامج في سيرة انوشروان ، وكتاب التاج وما تفاءلت به ملوكهم ، وكتاب دارا والصنم المذهب ، وكتاب خداي نامه ، وكتاب بهرام ونرسي ، وكتاب انوشروان ، وكتاب عهد اردشير . وغير ذلك من الكتب التي لا محل لاستقصائها هنا . هذا فضلا عن الكتب التي ترجمها ابن المقفع مما لم يرد ذكره الان والتي سيأتي الكلام عليها فيما بعد .

ولكن من الغريب ان امة هذا مبلغها في الملك والحضارة والعلم والادب لم يحفظ لها التاريخ شيئا من الشعر قبل الاسلام يعتد به .

واللغة الفارسية تنقسم الى ثلاثة اقسام : الفارسية القديمة وعصرها من سنة ٥٥٠ الى سنة ٣٣٠ قبل الميلاد . والفهلوية وقد ازهرت في عصر الساسانيين وعنها ترجمت الكتب الى العربية وقد ظلت حية الى ما بعد الفتح العربي باكثر من قرن . والفارسية العصرية وعصرها من بعد الفتح العربي الى العصر الحاضر وهي التي دخل عليها كثير من الكلمات العربية بعد ان

دان اكثر الفرس بالاسلام .

على ان الفرس وان دانوا بالاسلام فما زالت نفوسهم تطمح الى الاستقلال عن العرب قال احد غلاتهم :

انا ابن الاكارم من آل جم   وطاب ارث ملوك العجم
فقل لبني هاشم كلهم   هاموا الى الخلع قبل الندم
وعودوا الى ارضكم بالحجاز   واكل الضباب ورعي الغنم

والذين لم يحسن اسلامهم من الفرس قاموا في صدر الدولة العباسية بمقالات دينية تضرب بعرق الى المجوسية وفتنوا بها كثيرا من الناس مثل بها فريد المتكهن الذي كان يصلي الصلوات الخمس بلا سجود متياسرا عن القبلة وسنباذ واسحق اللذين مر ذكرهما وغير اولئك ممن حارب العرب بالقول او الفعل .

اما الذين لم يدخلوا في الاسلام فقد بقي كثير منهم في بلادهم على المجوسية وظلت بيوت نيرانهم موقدة يقضون بها مناسكهم .

ولئن شاعت العربية في بلاد فارس وحذقها العلماء فالفارسية ظلت حية بين ابنائها فلقد روي عن جيش المختار الذي ثار على عبد الملك بن مروان انه كان يتكلم بالفارسية . وهذا ابو تمام

الطائي يقول وقد سمع مغنية فارسية في ابر شهر :

ايا سهري بيلدة ابر شهر ذممت الي في نومي سواها
شكرتك ليلة حسنت وطابت اقام سرورها ومضى كراها
سمعت بها غناء كان اولى بان يقتاد نفسي من غناها
ومسمعة يحار السمع فيها ولم تصممه لا يصمم صداها
مرت اوتارها فشفت وشاقت ولو يسطيع حاسدها فداها
ولم افهم معانيها ولكن ورت كبدي فلم اجهل شجاها
فبت كأنني اعمى معنى يحب الغانيات وما يراها

وقد كان ذلك في اوائل القرن الثالث · وفي القرن الرابع سمعنا المتنبي يقول في شعب بوان :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

وهكذا فلقد ضن الفرس بلغتهم وتحينوا الفرص حتى اتيح لهم ان يستقلوا عن العرب ويكونوا لهم ادبا رائعا ·

اثر العرب في ألفرس

العرب والفرس امتان متجاورتان كان اتصال بينهما قبل الاسلام وبعده وتركت كل منهما اثرا في الثانية . اما اثر العرب في الفرس قبل الاسلام فضئيل لان الفرس كانوا اعظم من العرب في الملك والحضارة والعلم . ومع ذلك فقد اتخذ الاكاسرة كتابا من العرب كلقيط بن يعمر الايادي الشاعر الجاهلي القديم الذي كان كاتبا في ديوان سابور ذي الاكتاف في القرن الرابع للميلاد وهو صاحب القصيدة البارعة التي يحذر بها قومه من غزو الفرس والتي منها قوله :

وقلدوا امركم لله دركم
رحب الذراع بامر الحرب مضطلعا

وعدي بن زيد العبادي كاتب كسرى .

ولقد كان للفرس رأي حسن في اخلاق العرب وتربيتهم فقد روي ان بهرام جور احد ملوك الفرس ارسله ابوه وهو حدث الى المنذر بن النعمان ملك الحيرة ليشرف على تهذيبه وتعليمه فاحضر له موءدبين علموه الكتابة والرمي والفقه واجاد

العربية وظل في الحيرة حتى مات ابوه وساعده المنذر على تمليكه على الفرس وكان ذلك في اوائل القرن الخامس للميلاد . ومن هنا وهم ادباء الفرس وقالوا ان بهرام هو الذي ابتكر الاوزان الشعرية وفاتهم انه تلقاها عن العرب في الحيرة .

ثم لما بعث النبي عليه السلام كان سلمان الفارسي اول من آمن به من الفرس فدان بالاسلام واخلص له حتى قال النبي عليه السلام « سلمان منا اهل البيت »

ولما فتح العرب بلاد فارس في خلافة عمر رضي الله عنه بدأ الفرس يدخلون في الاسلام فلم ينقض القرن الاول حتى شملهم الاسلام الا قليلا منهم وشاعت بينهم اللغة العربية واختلطوا بالعرب وتسموا باسمائهم وكتبوا الفارسية بالحروف العربية واثرت فيهم الثقافة الاسلامية اثرا عميقا بل خلقتهم خلقا جديدا حتى جعلتهم يقطعون الصلة بينهم وبين ادبهم القومي قبل الاسلام الا يسيرا منه .

قال نولدكي : « ان الاداب اليونانية لم تمس من حياة الفرس الا ظاهرها ولكن دين العرب وسننهم نفذت الى قلوبهم »

فاللغة الفارسية بعد الاسلام اضحت غيرها قبل الاسلام لكثرة

ما دخل عليها من الـكلمات العربيه واساليب بيـانها واصبح القرآن والحديث مصدر الادب الفارسي فشاع الاقتباس منهما والاشارة اليهما حتى انه يـكاد يكون في كثير من مناحيـه ادبا عربيا مترجما فالاوزان الشعرية ومصطلحات فنون البلاغة في المعاني والبيان والبديع مأخوذة باعيانها عن العربية فضلا عن الاستشهاد بتاريخ العرب وخلفائهم وضرب المثل ببلغائهم وشعرائهم واعتبارهم المثل الاعلى في البلاغة حتى ان الناظر في الادب الفارسي ليصعب عليه فهم روحه اذا لم يـكن ذا المام بالحياة الاسلامية واللغة العربية ·

وقد كان من اللباقة في المنطق والانشاء ان يكثر الفارسي من استعمال الالفاظ العربية قال كيكاوس حفيد قابوس ابن وشمكير في كتاب الفه لتهذيب ابنه جيلان شاه واسمه قابوسنامه « اذا كتبت رسائلك بالفارسية فلتكن مشوبة بالعربية فان الفارسية الصرف لا تعذب في المذاق »

اجتهد الفرس في تكوين ادبهم هذا ولكن اللغة العربية كانت صاحبة المحل الارفع عندهم فقد ظلت لغة الدين والحـكومة والعلم فيما بينهم حتى بعد ان استقلوا عن العرب ، وظلوا يصطنعونها في

تلك الاغراض الثلاثة حتى اجتاح المغول بلادهم في القرن السابع فاضحت منذ ذاك الحين لغة الدين والفلسفة فقط .

ويجدر بنا هنا ان نورد دليلا من كلام ابن المقفع على مبلغ اكبار الفرس للعرب قال : « ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا اثار اثرت اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ويشارك في ميسوره ومعسوره ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ويفعله فيصير حجة ويحسن ما شاء فيحسن ويقبح ما شاء فيقبح ادبتهم انفسهم ورفعتهم هممهم وأعلتهم قلوبهم والسنتهم فمن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم خصم »

واليك مثالا آخر يدلك على مبلغ تأثر الفرس بالروح الاسلامية ومقتهم لعاداتهم المجوسية حتى الاعياد القومية منها كتب بديع الزمان الهمذاني رسالة في ذم السذق وهو احد اعياد الفرس المشهورة جاء فيها : «هذا هو العيد والضلال البعيد انهم يشبون نارا هي موعدهم والنار في الدنيا عيدهم والله الى النار يعيدهم ومن لم يلبس مع اليهود غيارهم لم يعقد مع النصارى زنارهم ولم يشب مع المجوس نارهم ان عيد الوقود لعيد افك وان شعار النار لشعار

شـرك وما انزل الله بالسذق سلطـانًا ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا وانما صب الله سيوف العرب على روءوس العجم لما كره من اديانها وسخط من نيرانها واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم حين مقت افعالهم »

ولهذا الحديث شجون وهناك كثير من الادلة على مبلغ اثر العرب في الفرس من حيث الدين والادب نكتفي بما ذكرناه هنا على ان نأتي بالبقية في رسالة الوزيرين ابن العميد والصاحب ابن عباد ·

ولعل القارىء بعد الآن لا يستسرف نبوغ الفرس في الادب العربي بعد ان راز مبلغ اثر العرب فيهم وابن المقفع واحدمنهم ·

اثر الفرس في العرب

كان اتصال بين العرب والفرس في الحيرة واليمن قبل الاسلام وفي بلاد فارس بعد الاسلام · اما في الحيرة واليمن فقد كانت السيادة للفرس لان ملوك الحيرة كانوا تحت سيطرة الاكاسرة كما انهم اعانوا عرب اليمن على اخراج الاحباش من ارضهم وكان ذلك بسعي سيف بن ذي يزن لدى انوشروان فعرف اليمنيون هذه الصنيعة لهم ودعوهم ابناء الاحرار، وما زالت السنتهم رطبة بالثناء عليهم حتى بعد الاسلام بنحو ثلاثة قرون · قال البحتري في قصيدته في ايوان كسرى يشير الى جميل صنعهم مع اجداده اليمنيين :

... فلها ان اعينها بدموع	موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري	باقتراب منها ولا الجنس جنسي
غير نعمى لاهلها عند اهلي	غرسوا من ذكائها خير غرس
ايدوا ملكنا وشدوا قواه	بكماة تحت السنور حمس
واعانوا على كتائب اريا	ط بطعن على النحور ودعس
واراني من بعد اكلف بالاشـ	ـراف طرا من كل سنخ واس

واما في بلاد فارس فقد كان العرب هم السادة · واثر الفرس في العرب قبل الاســلام ، لم ينفذ الى قلوب العرب ، لانهم لم يدينوا بدينهم ، اللهم الا مجوسية في تميم وزندقة في قريش ، ولم يكونوا في الحيرة واليمن محكومين لهم حكما مطلقاً · ولان للعربي حرية غريزية ، تأبى عليه الانقياد لغيره، ولانه فخور بعروبته، مزهو ببلاغته · على ان اتصال العرب بالفرس ومجاورتهم لهم ادخلت على العربية طائفة صالحة من الالفــاظ الفارسية مثل « حربا (١) وبربط (٢) وابريق (٣) واستبرق (٤) ويرندج (٥) ودمقس (٦)

---

(١) الحرباء دويبة معروفة وهي تعريب خربا اي مترقب الشمس.
(٢) البربط العود وفارسيته بربت اي صدر الاوز لانه يشبهه .
(٣) معرب آبريز ومعناه يصب بالماء .
(٤) الاستبرق الديباج الغليظ وهو معرب عن استبر ومعناه الغليظ .
(٥) اليرندج جلد اسود تعمل منه الخفاف قال الشماخ :

ودويــة قفر تمشى نعــامها كمشي النصارى في خفاف اليرندج

وهو بالفارسية رنده ·
(٦) معرب دمسه ومعناه الحرير الابيض.

وزنبق (١) وبخ بخ (٢) وغرنوق (٣) وفنزج (٤) وفالوذ (٥) وياسمين وشاهسفرم ونرجس (٦) والخورنق والسدير (٧)، الى غير ذلك من الكلمات الفارسية التي استعملها العرب قبل الاسلام بعد ان عربوها وتداولها بلغاؤهم في اشعارهم. ولقد اغرق بعض متنطعي الفرس وزعم ان مكة تلب البلاد العربية ومبعث نور الاسلام اسم فارسي مركب من ماه اي القمر وكاه اي محل.

وقد اثرت اللغة الفارسية في الشاعر عدي بن زيد العبادي

---

(١) الزنبق معروف وبالفارسية زنبه قال الاعشى:
اذا تقوم يضوع المسك اصورة والزنبق الورد من اردانها شمل
(٢) بخ بخ كلمة استحسان وفي الفارسية بخ بخ.
(٣) الغرنوق الشاب الابيض الطريف مركب من غرا اي ابيض ونيك اي جميل.
(٤) الفنزج رقص للعجم معرب بنجه.
(٥) الفالوذ حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل تعريب پالوده.
(٦) الياسمين معرف والنرجس كذلك معرب نركس والشاهسفرم ومعناه الريحان السلطاني وتريب شاه اسپرغم وقد وردت الثلاثة في قوله الاعشى: «وشاهسفرم والياسمين ونرجس»
(٧) الخورنق والسدير قصران للنعمان بن المنذر وخورنق مركب من خورن اي آكل وكاه اي محل وسدير تعريب سه دير اي ثلاث قبب لانه كان ذا ثلاث قبب.

كاتب كسرى حتى ثقل لسانه لذلك فالعلماء لا يدون شعره حجة ·
وكذلك اعشى قيس فانه كان يفد على ملوك فارس ولذلك
كثرت الفارسية في شعره كما قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ·

ولم يقف الامر عند اللغه والشعر بل تعداه الى العلم فالحرث
ابن كلدة الثقفي طبيب العرب رحل الى ارض فارس واخذ الطب
عن اهل تلك الديار من اهل جند يسابور وذلك يقتضي تعلم لغتهم
واتقانها ·

هذا وقد وقع في القرآن الكريم عدة كلمات فارسية مثل
سندس واستبرق واباريق وزنجبيل · وروي عن النبي عليه السلام
انه استعمل كلمات فارسية على سبيل التلطف · قال ابو هريرة:
« هجر النبي ﷺ فهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الي وقال :
شكم درد ؟ (١) فقلت : نعم · فقال ثم فصل فان في الصلاة شفاء »

ثم لما فتح العرب بلاد فارس ودان الفرس بالاسلام بقيت
الفارسية مستعملة في دواوين الحكومة هناك الى ايام عبد الملك
ابن مروان اذ امر بنقلها الى العربيـــة فلما حلت العربية محل
الفارسية لم يجد العرب غضاضة في اقتباس بعض مناهج الكتابة

---

(١) وفي رواية اشكنب درد ومعنى ذلك هل وجع بطنك ·

الديوانية عن الفرس فلقد روي عن عبد الحميد بن يحيي كاتب بني امية انه استعان بالاوضاع الفارسية لما شرع معالم الكتابة العربية . قال ابو هلال العسكري في كتاب الصناعتين : « من عرف ترتيب المعاني واستعمال الالفاظ على وجوهها بلغة من اللغات ثم انتقل الى لغة اخرى تهيأ له فيها من صنعة الكلام ما تهيأ له في الاولى الا ترى ان عبد الحميد الكاتب استخرج امثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي فحولها الى اللسان العربي »

ولكن نقل الدواوين من الفارسية الى العربية لم يجعل القوم يتناسون لغتهم بل ظلت حية فيما بينهم مع تعلمهم اللغة العربية وكان لهم شأن في الادب وامور الحكومة ايام بني امية قال سليمان بن عبد الملك : « العجب لهذه الاعاجم كان الملك فيهم فلم يحتاجوا الينا فلم ولينا لم نستغن عنهم » وقال ايضاً : الا تعجبون من هذه الاعاجم احتجنا اليهم في كل شيء حتى في تعلم لغاتنا منهم »

ومن علمائهم الذين اشتغلوا باللغة والادب في ايام بني امية عنبسة الفيل احد اصحاب ابي الاسود الدؤلي وابو داود عبد الرحمن بن هرمز الاعرج توفي في ايام هشام بن عبد الملك وحماد

الراوية الذي كان بنو امية يستزيرونه من الكوفة ليحدثهم بايام العرب وينشدهم اشعارها وحماد عجرد الذي نادم الوليد ابن يزيد وابو العباس الاعمى واسمه السائب بن فروخ احد شعراء بني امية وزياد الاعجم الشاعر المتوفي سنة ١٠٠

هذا الى مالهم من الاثر البين في الغناء العربي والموسيقى العربية في القرن الاول فان الغناء العربي مازال ساذجا حتى ظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب خاثر فسمعوا شعر العرب ولحنوه واجادوا فيه ٠

ولا محل هنا للاسهاب بذكر من اشتركوا في تدوين العلوم الاسلامية من الفرس كالقراءات والحديث والفقه وما يتفرع عنها لان عددهم عظيم جدا حتى قال ابن خلدون : «من الغريب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم»

وقد شرعت مقالاتهم وآراوءهم في الدين تنتشر رويداً رويداً منذ ايام بني امية حتى انها دبت لبعض الخلفاء فالجعد ابن درهم مولى سويد بن غفلة كان صاحب رأي اخذ به جماعة بالجزيرة ويروى انه كان يرى رأي المنانية فاستهوى مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية لانه كان موءدبه ولذلك رمي مروان بالزندقة ٠

قال ابن ابي ليلى قال لي عيسى بن موسي وكان دياناشديد العصبية من كان فقيه البصرة ؟ قلت الحسن بن ابي الحسن ، قال ثم من ؟ قلت محمد بن سيرين قال فما هما قلت موليان . قال فمن كان فقيه مكه ؟ قلت عطاء بن ابي رباح ومجاهد وسعيد ابن جبير وسليمان بن يسار قال فما هوءلاء قلت موالي . قال فمن فقهاء المدينة ؟ قلت زيد بن اسلم ومحمد بن المنكدر ونافع ابن ابي نجيح قال فما هوءلاء قلت موالي فتغير لونه ثم قال فمن افقه اهل قباء ؟ قلت ربيعة الرأي وابن ابى الزناد قال فما كانا قلت من الموالي فاربد وجهه ثم قال فمن كان فقيه اليمن ؟ قلت طاوس وابنه وابن منبه قال فما هوءلاء قلت من الموالي فانتفخت اوداجه وانتصب قاعدا وقال فمن كان فقيه خراسان ؟ قلت عطاء بن عبدالله الخراساني قال فما كان عطاء هذا قلت مولى فازداد وجهه تربدا واسود اسودادا حتى خفته ثم قال فمن كان فقيه الشام قلت مكحول قال فمن هذا قلت مولى فتنفس الصعداء ثم قال فمن كان فقيه الكوفة ؟ فوالله لولا خوفه لقلت الحكم بن عتيبة وعمار بن ابي سليمان ولكن رأيت فيه الشر فقلت ابراهيم والشعبي قال فما كانا قلت عربيان قال الله اكبر وسكن جأشه .

كان ذلك والعرب لم تتفرق كلمتهم بعد ولم تنطفي جمرتهم فلما اديل من بني امية لبني العباس بمونة الفرس عظم شأنهم وطغى نفوذهم وبعث كثير من عاداتهم واعيادهم واتخذت البستهم وما كلهم في قصر الخلافة واصبح الوزراء والقواد منهم وربما كان ديوان الوزارة وضعا من اوضاع الفرس في الدولة العباسية لان بني امية لم يتخذوا وزراء

هذا من حيث القوة اما من حيث الادب فقد ترجمت طائفة من كتب ادبهم وحكمتهم وشاعت اخبار ملوكهم وحكمائهم حتى اندمجت فيما بعد مع اخبار خلفاء العرب خذ مثلا كتاب التاج للجاحظ واقرأ فصلا من فصوله تجد كيف بنقل اخبار الاكاسرة والخلفاء كأنهم من عنصر واحد وهكذا قل عن بقية كتب الادب فانها تضم كثيراً من آداب الفرس وحكمتهم . وظهر منهم كتاب وشعراء ومترجمون نبغوا في العربية نبوغاً لايزال موضع الاعجاب كابن المقفع الذي عقدت هذه الفصول لاجله وبشار بن برد ومروان بن ابي حفصة وبرزوا في كل علم من علوم اللغة والادب . وكذلك في العلوم الاسلامية كافة ولو لم يخرج منهم الا الامام ابو حنيفة الذي مزالت اتباعه اكثر

من اتباع كل امام لـكنى · وهناك آراء ومذاهب ومقالات في الدين قام بها الفرس تنحرف عن سماحة الاسلام بمقاييس مختلفة ماعدا الزندقة التي كان الفرس سبب ادخالها على المسلمين والمانوية التي اتهم بها عدد من المشاهير في صدر الدولة العباسية حتى اضطر المهدي لتتبع الزنادقة والبطش بهم ·

اما التصوف فقد لاقى من نفوس الفرس منزلا رحبا لانهم ذوو نفوس حساسة وخيال واسع فأثمر في افكار متصوفتهم احسن الثمرات ولولا نبوغ بعض العرب في هذا الطريق لغلب على الظن ان الصوفية وليدة الروح الفارسية ·

هذا ولم يقف النفوذ الفارسي في صدر الدولة العباسية عند السياسة والعلم والادب بل اخذ القوم بطرائقهم في الملبس والاثاث والآنية والمآكل، حتى ان ملوكهم كانت تصور على اقداح الخمر ·

قال ابو نواس :

تدور علينا الكأس في عسجدية حبتها بانواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدريها بالقسي الفوارس

فللخمر ما زرت عليه جيوبهم وللماء ما دارت عليه القلانس

واسماء الملابس والمآكل والاواني والازهار والاثاث تدلك

على مبلغ الاثر الفارسي لان كثيرا منها معرب عن الفارسية ·

فيمكننا والحالة هذه ان نقسم اثر الفرس في الادب العربي الى قسمين الاول في دولة بني امية والثاني في دولة بني العباس · اما في عهد الامويين فقد كان الادب عربياً خالصا في المادة والمعنى ولم يكن للفرس عمل فيه الا مدارسته وحفظه وروايته · واما في عهد بني العباس فقد كان اثرهم اعمق لا في الاسلوب البياني بل في التفكير والحس والخيال ، لانهم حرصوا كثيرا على الديباجة العربية واساليب العرب في البلاغة فكان من وراء ذلك خير للادب كثير · فهم والحالة هذه عرب في لغتهم وفصاحتهم واساليب بيانهم ، فرس في نسبهم وتفكيرهم وشعورهم واخيلتهم ·

نسب ابن المقفع ووطنه

كل من ترجم لابن المقفع لم يذكر غير اسمه واسم ابيه « روزبه بن داذويه » وان كنيته قبل ان يسلم ابو عمرو وبعد ان اسلم سمي عبد الله وكني بابي محمد وانه من اصل فارسي ، الا ابن النديم فانه عرفنا باسم جده « المبارك » وان آباءه من خوز ·

وبلاد خوز وتعرف بخوزستان ، ويسميها العرب الاهواز قريبة من البصرة ، نزلتها القبائل العربية منذ الفتح · قال ياقوت في معجم البلدان : ارض خوزستان اشبه شيء بارض العراق وهوائها وصحتها · واما لسان اهل خوزستان فان عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية ، غير ان لهم لسانا آخر خوزيا ليس بعبراني ولا سرياني ولا عربي ولا فارسي ، والغالب عليهم الاعتزال وفي كورهم جميع الملل ·

اما داذويه والد ابن المقفع ، فقد كان مجوسيا مستعربا ، ولاه الحجاج بن يوسف الثقفي خراج بلاد فارس فنال شيئا من مال السلطان فضربه الحجاج حتى تقفعت يده فلقب بالمقفع ، وعرف ابنه بابن المقفع ·

ولد ابن المقفع حوالي سنة ست ومائة وسماه والده روزبه. ونشأ بالبصرة في ولاء آل الاهتم. والبصرة بلدة اختطتها العرب في خلافه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت لعهد ابن المقفع اعظم مدن العلم والادب في الاسلام، لا سيما اللغة والفصاحة وفنون الادب، لان بغداد لم تكن بنيت بعد. وهي في ذا القرن الاول مجمع اهل العلم والادب، فيها المربد الذي خلف سوق عكاظ في الجاهلية، كان يؤمه الشعراء مع رواتهم للمناضلة والمناشدة، وفيه مجالس للعلم والادب، وحلقات للمناشدة والمفاخرة، ومن اشهر حلقاته حلقة الفرزدق وراعي الابل. ورجال الادب الذين نبغوا في البصرة اعظم من ان يحصوا في مثل هذه الرسالة. ويكفيك ان ابا الاسود الدؤلي اول من شرع وضع النحو هو بصري، وكذلك جماعته الذين اتوا من بعده كابن ابي اسحق الحضرمي اول من علل النحو، وعيسى بن عمر الثقفي اول من ألف فيه، وهرون بن موسى اول من ضبطه، وسيبويه اول من اجاد في تأليفه. والبصرة اذ ذاك مجتمع فصحاء الاعراب ايضاً يفدون اليها فيلقون كل تجلة واكرام من رواة اللغة والادب الذين يتلقون عنهم شوارد العربية ونوادر الاعراب.

ولم تكن مدينة تناظر البصرة في تلك النهضة العلمية غير الكوفة ، فهما مدينتا العلم والادب في الاسلام ، ولكن البصرة كانت الراجحة ، والبصريين والكوفيين مذاهب في العربية ، احتدم الجدال بشأنها والف فيها عدد من الكتب ·

وفي البصرة نبغ قتادة بن دعامة ، وبشار بن برد ، وصالح ابن عبد القدوس ، والرقاشي ، وابن مناذر ، وسلم الخاسر ، وابو نواس ، والسيد الحميري ، والخليل بن احمد الفراهيدي ، وسيبويه ، وغيرهم من ائمة الادب في القرن الذي عاش فيه ابن المقفع ·

وفي البصرة كان الحسن البصري يعقد حلقته ويلقي دروسه العامة ومن تلك الحلقة نبغ واصل بن عطاء الغزال رئيس المعتزلة اذ ترك حلقة استاذه واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد ، ولذلك غلب الاعتزال فيما بعد على اهل البصرة ·

بمثل تلك المدينة الفاضلة نشأ ابن المقفع في ولاء آل الاهتم وآل الاهتم معروفون بالبلاغة والفصاحة واللسن والخطابة والشعر في الجاهلية والاسلام ومنهم عمرو بن الاهتم الذي كان يضرب به المثل في البلاغة ، والذي كان في وفد بني تميم الى النبي ﷺ · قال ابن دريد في كتاب الاشتقاق : وفي بني الاهتم رجال

معروفون خطباء يطول الكتاب باسمائهم » وهكذا فقد اتيح لابن المقفع ان يشب بين معدن الفصاحة في مدينة العلم والادب ٠

اوليته

جرت العادة في تراجم ادبائنا ان لا يعنى المترجمون باولية الاديب ونشأته وكيف درس وبمن تخرج وعمن اخذ وما هي الحوادث التي جعلت منه اديبا وانما يعرضونه لنا ثمرة ناضجة الا في النزر اليسير ٠ وابن المقفع احد من اغفلت هذه الجهات في سيرته بل احد اولئك الذين غمطوا في حياتهم ومماتهم وبعد مماتهم فابن خلكان لم يعقد له ترجمة خاصة بل ذكره بالمناسبة في ذيل ترجمة الحسين الحلاج ٠

فلم يبق لدينا الا النبذ المنتشرة في كتب الادب نجمعها ونستخلص منها صورة تمثل اولية ابن المقفع ما امكن مع الاستعانة بالزمن والبيئة التي عاش فيهما ٠

عرفت ان ابن المقفع نشأ في البصرة وفي ولاء آل الاهتم وعرفت اي مركز للعلم والادب كانت البصرة ومن اهم آل الاهتم في الفصاحة فلا عجب ان يكون الناشيء في تلك البيئة من اعلام

البلاغة . اما مشايخ ابن المقفع في الفصاحة فلا نعرف الا واحدا منهم هو ابو الجاموس الاعرابي قال ابن النديم : « ابوالجاموس ثور بن يزيد الاعرابي كان يفد الى البصرة على آل سليمان ابن علي وعنه اخذ ابن المقفع الفصاحة ولا مصنف له » ولابن المقفع جملة تدل على سعة روايته لكلام العرب قال : شربت الخطب ريا ولم اضبط لها رويا ففاضت ثم فاضت فلاهي نظاما وليس غيرها كلاما . على ان له فقرة اخرى تدل على مبلغ اعتماده على نفسه في ادب النفس والدرس ، سئل مرة من ادبك ؟ فقال :نفسي كنت اذا رأيت حسنا اتيته واذا رأيت قبيحاً ابيته . اما معرفته بالفارسية فقد كان عالما بلغات الفرس وآدابها وخطوطها روى عنه ابن النديم اقوالا في لغات الفرس وخطوطهم تدل على رسوخ قدمه في ادب قومه .

وبعض المعاصرين ممن ترجم له يدعي انه كان يعرف اللغة اليونانية لانه ترجم بعض الكتب اليونانية ونحن لا نري ذلك لان ما نقله عن اليونانية انما كان ترجم الى الفارسية قبل ابن المقفع وهو نقله عن الفارسية كما سيأتي ذلك عند الكلام على كتبه .

عند ابن هبيرة

ابن المقفع وان كان معدودا من كتاب العصر العباسي فانه بدأ حياته الكتابية في دولة بني امية وهو فتى لا يزيد عمره كثيرا عن عشرين سنة · فبينما كان زميله عبد الحميد بن يحيى يكتب بالشام لمروان بن محمد آخر خلفاء بني امية كان ابن المقفع الشاب نابه الذكر يكتب لداود بن هبيرة في العراق ·

وداود هذا كان مع ابيه والي العراق يزيد بن عمر ابن هبيرة الذي ولاه مروان بن محمد سنة ثمان وعشرين ومائة وبقي مع ابيه في العراق يدافعان دعاة بني العباس الى ان قتل مروان سنة اثنتين وثلاثين ومائة فامن ابو جعفر يزيد بعد ان عجز عن الظفر به ثم قتله ومن معه من اهله وحاشيته وكان داود من جملة من قتل ولكن ابن المقفع نجا تلك المرة من سيف ابي جعفر واستبقاه لوقت آخر مع انه قتل كاتبا غيره من كتاب ابن هبيرة ·ولم تبق الايام على اثر مما كتبه ابن المقفع عن داود·

عند بني العباس

خدم ابن المقفع بعد مقتل ابن هبيرة والى الامويين على العراق ، اعمام السفاح الثلاثة سليمان وعيسى واسماعيل ابناء علي ابن عبد الله بن عباس كما انه ترجم لابي جعفر المنصور كتبا في المنطق عن الفارسية . فقد كتب لعيسى بن علي ايام ولايته على كرمان وعلى يديه اسلم جاءه يوما وقال له : قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك فقال له عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر . ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم فجعل يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى اتزمزم وانت عزم الاسلام ؟ فقال : كرهت ان ابيت على غير دين . فلما اصبح اسلم على يده وسمي بعبد الله وكني بابي محمد وكا يكنى ابا عمرو .

وتأدب عليه بعض بني اسمعيل بن علي والي الاهواز ثم الموصل ولعل ذلك السبب في عده من المعلمين قال الجاحظ : « ومن المعلمين ثم البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع .... »

وكتب لسليمان بن علي ايام ولايته على البصرة واعمالها

وقد دامت ولايته على البصرة من سنة ١٣٣ في خلافة السفاح الى سنة ١٣٩ حين عزله ابو جعفر المنصور وولى مكانه سفيان ابن معلوية الذي قتل ابن المقفع · وقد مات سليمان هذا سنة ١٤٢ وهي السنة التي قتل فيها ابن المقفع ·

ولما خرج عبد الله بن علي والى الشام على ابن اخيه المنصور بالشام والجزيرة سنة ١٣٧ وهزمه المنصور فر عبد الله الى البصرة واحتمى باخويه سليمان وعيسى وبقي هناك الى ان عزل اخوه سليمان سنة ١٣٩ فاختفى عبد الله خوفا من المنصور فطلبه المنصور من سليمان وعيسى فابيا ان يسلماه اياه الا بامان يمليان شروطه وكتب هذا الامان عبد الله بن المقفع وتشدد به وتصعب وكان من جملة ما كتبه : « ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبد الله فنساؤه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون في حل من بيعته » فاحفظ ذلك ابا جعفر واشتد عليه وكان من جملة الاسباب الداعية لقتله كما سيأتي · ولا بد من ان يكون كتب كثيرا عن هؤلاء الامراء الثلاثة ولكن لم يصل الينا شيء مما كتبه عنهم على التعيين الا ان هناك رسالة تعرف برسالة الصحابة لا يبعد ان يكون ابن المقفع كتبها عن سليمان بن علي ايام امارته على البصرة

و بعث بها الى المنصور يذكره بأمور تتعلق بأمور الدولة وسياستها وهي تشابه من بعض الوجوه التقارير التي يرفعها رجال الدولة اليوم الى الملوك ·

ابن المقفع وسفيان بن معاوية

في سنة ١٣٩ عزل المنصور عمه سليمان بن علي عن البصرة واعمالها وولى مكانه سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن ابي صفرة و في نفس المنصور موجدة على سليمان الذي حمى اخاه عبدالله الخارج على الخليفة ولم يسلمه الا بامان تشدد ابن المقفع في شروطه فاحفظ المنصور وغاظه · ولا مرية في ان المنصور اراد بتولية سفيان ان يقلم اظفار اعمامه فاستلم عمه عبدالله بن علي وجعله في حبسه وابقى على سليمان في البصرة · ولكن ابن المقفع لم يملأ عينه سفيان هذا فكان يسخر به و يتنادر عليه ويعرض به وينال من امه فاذا دخل عليه قال السلام عليكما يريد سفيان وانفه لانه كان كبير الانف و قال له يوما : ماتقول في شخص خلف زوجا و زوجة ؟ وقال سفيان يوما ماندمت على سكوت قط ، فقال له ابن المقفع : الخرس زين لك فكيف تندم عليه فكان سفيان يحقد عليه و يقول و الله لاقطعنه

اربا اربا وعينه تنظر . وقد بر بقسمه فقتله شر قتلة اختلفت الرواية في شكلها ولم تختلف في فظاعتها فقيل القاه في بئر وردم عليه الحجارة وقيل ادخله حماما واغلق عليه بابه فاختنق وقيل بل امر به فقطعت اعضاؤه عضوا عضوا والقيت في التنور وهو ينظر اليها حتى اتى على جميع جسده ثم اطبق عليه التنور وقال ليس علي في هذه المثلة بك حرج لانك زنديق وقد افسدت الناس وكان ذلك سنة ١٤٢ وعمر ابن المقفع يومئذ ست وثلاثون سنة وخلف ولدا اسمه محمد .

غضب سليمان وعيسى ابنا علي لذلك وخاصما سفيان ابن معاوية الى المنصور واحضراه بين يديه مقيدا وجاءا بالشهود الذين رأوا ابن المقفع دخل داره ولم يخرج فادوا الشهادة على ذلك . ولكن المنصور الذي كان يحقد على ابن المقفع شروط ذلك الامان الذي سبقت الاشارة اليه قال للشهود انا انظر في هذا الامر ثم قال ايضا ارأيتم ان قتلت سفيان به ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت واشار الى باب خلفه - وخاطبكم ما تروني صانعا بكم أأقتلكم بسفيان فرجع الشهود عن الشهادة وعلم سليمان وعيسى انه قتل بعلم المنصور . وهكذا ذهب دم ابن المقفع هدرا ويرجح

المؤرخون ان المنصور هو الذي امر سفيان بقتله . ويظهر انه اضطهد قبل قتله، قال ابن قيتبة في عيون الاخبار : كان ابن المقفع محبوسا في خراج كان عليه وكان يعذب فلما طال ذلك وخشي على نفسه تعين من صاحب العذاب مائة الف درهم فكان بعد ذلك يرفق به ابقاء على ماله .

علمه و ادبه

جمع ابن المقفع بين ثقافتي العرب والفرس واذا قلنا ثقافة الفرس ضممنا اليها حكمة الهنود وفلسفة اليونان لان الفرس ترجموا كتب الهند واليونان لاسيما والاسكندر فتح بلاد فارس فشاعت بها الفلسفة اليونانية وابن المقفع ترجم عن الفارسية كتبا من وضع الهند واليونان منها ادبي ومنها فلسفي مثل كتب المنطق وذلك لا يكفي للقيام به معرفة اللغة المترجم عنها فقط بل يقتضي اتقان علم المنطق والتبصر به قال القفطي في اخبار الحكماء : ابن المقفع اول من اعتنى في الملة الاسلامية بترجمة الكتب المنطقية لابي جعفر المنصور . فهو في هذا العلم معدود من الاوائل وله فضيلة السبق في نقله الى العربية . وكذلك فان بعض المستشرقين يظن

ان ابن المقفع هو الذي شرع طريقة تدوين التاريخ في اللغة العربية لانه ترجم كتاب خداينامه « سير ملوك العجم » فكان مثالا للعرب في كتابة التاريخ ٠

اما بلاغته فانه احد بلغاء الناس العشرة بل هو معدود في طليعتهم وهاك اسماءهم كما رتبها ابن النديم :

عبد الله بن المقفع ، عمارة بن حمزة ، حجر بن محمد ، محمد ابن حجر ، انس بن ابي شيخ ، سالم ، مسعدة ، الهريز ، عبد الجبار ابن عدي ، احمد بن يوسف ٠

وسواء اكان بلغاء الناس عشرة ام اكثر ام اقل فابن المقفع في السابقين منهم وقل منهم من اجتمع له من ادوات النبوغ كما اجتمع لابن المقفع : علم واسع وعقل راجح وذكاء حاد وطبع فياض ولغة شريفة وقد قيل لم يكن للعرب بعد الصحابة اذكى من الخليل ابن احمد ولا كان في العجم اذكى من ابن المقفع ٠ولقد كان الخليل يحب ان يجتمع بابن المقفع فجمع بينهما عباد بن عباد المهلبي فمكثا ثلاثة ايام ولياليهن يتحادثان فلما افترقا سئل الخليل عن ابن المقفع فقال : ماشئت من علم وادب الاان علمه اكثر من عقله ٠ وسئل ابن المقفع عن الخليل فقال : ماشئت من علم وادب الا ان عقله

اكثر من علمه .

واية شهادة اعظم خطرا من شهاده الخليل بن احمد سيد الادباء واعظمهم اختراعا وتوليدا في الوضع والتأليف على ان البقية الباقية من كتب ابن المقفع خير دليل على ذلك الادب الغض والعقل الحكيم .

والجاحظ يعترف لابن المقفع في البلاغة وفنونها ولكنه ينكر عليه معرفته في علم الكلام قال : « ومن المعلمين ثم البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع كان مقدما في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير وكان اذا شاء ان يقول الشعر قاله وكان يتعاطى الكلام ولا يحسن منه لا قليلا ولا كثيرا وكان ضابطا لحكايات المقالات ولا يعرف من اين غر المغتر ووثق الواثق واذا اردت ان تعتبر ذلك ان كنت من خلص المتكلمين ومن النظارين فاعتبر ذلك بان تنظر في آخر رسالته الهاشمية فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه عند ذلك انه لا يحمل عقله على شيء الا يعد به »

قد يكون الجاحظ مصيبا في حكمه لان علم الكلام كما يريده الجاحظ لم يكن اثر في زمن ابن المقفع كما ان ابن المقفع نفسه لم يكن عالما مختصا بالكلام يناظر الناس في عقائدهم ومذاهبهم ولكن الجاحظ مع ذلك اثبت له « جودة الحكاية للدعوى » وذلك اقصى ما يطلب من الناقل والمترجم وابن المقفع مترجم في الفلسفة لا واضع على ان له اراء حكيمة في الدين والحياة والاخلاق تعد مثلا اعلى في السمو ولكن ليست على طريقة المتكلمين والمناظرين سيأتي الكلام عليها في غير هذا المكان ·

ترك ابن المقفع ثروة عظيمة للادب العربي وامثلة رفيعة يطبع على غرارها بلغاء هذه الامة فترجم والف مقدارا غير قليل من الكتب عدا الرسائل التي كان يكتبها للامراء وهو لم يعش اكثر من ست وثلاثين سنة فلو عمر اطول من ذلك ارفد ادبنا باضعاف ما رفد ولله ما اصدق قوله :

ويقتلني فيقتل بي كريما   يموت بموته بشر كثير

ولقائل ان يقول ما بال الناس يغلون في رفع منزلة ابن المقفع واكثر تآليفه مترجمة عن الفارسية ليس له منها الا الصوغ والرصف ، ؟ وقد فاته ان الترجمة في كثير من الاحيان اشق من

التأليف والمجودون بها قليل جدا والكتب التي تترجم في عصرنا الحاضر اوضح دليل ، فما كان علميا منها يتعثر بالعجمة من حيث المصطلحات، وما كان ادبيا منها لم تأنس به نفوس القراء لبعده عن اساليب العربية اللهم الا النزر اليسير . فاذا قارنت هذه التراجم بترجمة ابن المقفع ظهر لك تفوقه ونبوغه على ان له من بنات افكاره ما يستهوي العقول ويسحر الالباب حتى زعم بعضهم انه عارض القرآن في كتاب الدرة اليتيمة . هذا فضلا عن ان عصر ابن المقفع كان عصر ترجمة في اكثر العلوم .

صفته واخلاقه

اذا صح ان اسلوب الكاتب مرآة اخلاقه وطبعه فلا شك ان ابن المقفع كان حسن الخلق سهل الطبع كريم السجية حلو المعاشرة وافر المروءة وقد وصفه الجاحظ بكونه جوادا فارسا جميلا وما اظن اديبا عمل بما كان يقول كابن المقفع قال : « ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحيتك ولعدوك عدلك وضن بدينك وعرضك عن كل احد » ولقد بذل هو دمه وماله في سبيل المروءة والكرم والصداقة

واي ايثار ابلغ من ايثاره لعبد الحميد بن يحيى كاتب بني امية؟ فقد صح ان عبد الحميد لجأ الى ابن المقفع بالبحرين بعد مقتل مروان ابن محمد ففاجأه الطلب وهو في بيته فقال الذين دخلوا عليهما ايكما عبد الحميد فقال كل منهما انا مخافة على صاحبه واوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع لولا ان صاح بهم عبد الحميد قائلا ترفقوا بنا فان لكل منا علامات فوكلوا بنا بعضكم وليمض البعض الآخر الى من وجهكم فيذكر له تلك العلامات ففعلوا واخـذ عبد الحميد فقتل سنة ١٣٢ .

وقال ابن قتيبة في عيون الاخبار : بلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع دارا له لدين ركبه وكان يجلس في ظل داره فقال ما قمت اذا بحرمة ظل داره ان باعها معدما و بت واجدا فحمل اليه ثمن الدار وقال لا تبع .

لم يشهر ابن المقفع بالمجون والخلاعة ولكنه كان يصحب من عرفوا بذلك قال صاحب الاغاني : كان مطيع بن اياس و يحيى ابن زياد الحارثي وابن المقفع ووالبة بن الحباب يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر احدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعا يرمون بالزندقة . وهوءلاء الذين صحبهم كانوا معروفين ايضا

بالخلاعة ولكنه هو كان الى الحشمة والتصون اميل ·

وروى صاحب الاغاني ايضا ان معن بن زائدة وروح ابن حاتم وابن المقفع اجتمعوا يوما عند ابن رامين فلما غنتهم جاريته الزرقاء بعث معن اليها بدرة فصبت بين يديها وكذلك فعل روح اما ابن المقفع فبعث فجاء بصك ضيعته وقال : هذه عهدة ضيعتي خذيها فاما الدراهم فما عندي منها شيء ·

وهكذا كان الغناء يبعث صبوته ويهز اريحته · وله في الفكاهة جواب يدل على انه نال حظا منها قال الجاحظ في كتاب البخلاء : روى اصحابنا عن عبد الله بن المقفع قال كان ابن جدام الشبي يجلس الي وكان ربما انصرف معي الى المنزل فيتغدى معنا ويقيم الى ان يبرد وكنت اعرفه بشدة البخل وكثرة المال فالح علي في الاستزارة وصممت عليه في الامتناع فقال جعلت فداك انت تظن اني ممن يتكلف وانت تشفق علي لا والله ان هي الا كسيرات يابسة وملح وماء الحب فظننت انه يريد اختلابي بتهوين الامر عليه وقلت ان هذا كقول الرجل ياغلام اطعمنا كسرة واطعم السائل خمس تمرات ومعناه اضعاف ماوقع اللفظ عليه وما اظن ان احدا يدعو مثلي الى الحرمة من الباطنية ثم يأتيه

بكسرات وملح فلما صرت عنده وقربه الى (١) اذ وقف سائل بالباب فقال اطعمونا مما تأكلون اطعمكم الله من طعام الجنة قال بورك فيك فاعاد الكلام فاعاد عليه مثل ذلك القول فاعاد عليه السائل فقال اذهب ويلك فقد ردوا عليك فقال السائل سبحان الله مارأيت كاليوم احدا يرد من لقمة والطعام بين يديه قال اذهب ويلك والا خرجت اليك والله فدققت ساقيك قال السائل سبحان الله ينهى الله ان ينهر السائل وانت تدق ساقيه فقلت للسائل اذهب وارح نفسك فانك لو تعرف من صدق وعيده مثل الذي اعرف من صدق وعده لما وقفت طرفة عين بعد رده اياك ·

هذا وفي انصرافه الى المواضيع الاخلاقية في اكثر ما الف وترجم وحثه على الوفاء والصدق والمروءة والايثار والشجاعة والتقوى وترك الكذب والحسد وتقبيح الجبن والبخل، دليل على كرم اخلاقه وشرف نفسه· ولقد رفع من قدر الكتابة بمقدار ما غض الشعراء في زمانه من قدر الشعر حين اسرفوا في المدح والقدح فابن المقفع يمثل الاديب الشريف ·

---

(١) وفي المحاسن والاضداد للجاحظ ايضا : لم اجد في بيته الاكسرا يابسة وملح جريش .

حكمته واراؤه

جمع ابن المقفع بين عقل الحكيم وتفكيره وطبع الاديب وذوقه فليست حكمته حقائق عارية وليس ادبه من هواجس النفس ونزغات الاهواء . واذا حاولنا عزل حكمته عن عاطفته وجدناها حكمة مشرقية واعني بذلك انها غير مادية بل هي في كثير من نواحيها روحية مبنية على الرحمة وحب الخير وبث الفضيلة ومساعدة الناس . فالحقيقة عنده مرغوب فيها ما نفعت او ما كان نفعها اكثر من ضررها فاذا كان تمحيصها يوءدي الى تعاسة او بوءس فالافضل ان يغفل امرها او يحول ضررها الى منفعة . وهذا النوع من حكمة المتفائلين اقرب الى علم تهذيب الاخلاق منه الى الفلسفة الخالصة .

ولكنه مع ذلك لا يقنع بهذا القدر الحكيم من حب الخير فبين جنبيه نفس اديب تأبى عليه الرضى بذلك المقدار وتكلفه المبالغة والغلو فيضيف الى حكمته الايثار والمروءة والشجاعة والاريحية والنبل والترف والشهامة فهو يستحسن الغنى اذا كان مقرونا بالجود والعدل مضافا الى الرحمة والعقل اذا كان مع الورع

والقوة مع العفو والشرف مع التواضع واللذة مع التصون والصداقة مع الايثار وقد مر بك خبر عبد الحميد الكاتب لما التجأ اليه وخبر جاره الذي اراد ان يبيع داره ·

ترجع حكمة ابن المقفع الى مصادر شتى فالاقدام والشجاعة والحمية والانفة والكرم والايثار عربي، وحب الخير وتعظيم امر الدين والمساواة والتقوى والاهتمام بامور الآخرة اسلامي، وما سوى ذلك كالرضى والقناعة وسعة الصدر والاخذ بالحزم والتدبير في شؤون الفرد والجماعة وعبادة الجمال هندي وفارسي و يوناني ·

على تلك الاصول تعتمد حكمته وعنها تتفرع آراؤه في الدين والحكومة والاخلاق وحياة الفرد والجماعة · اما الدين فانه يعظم من شأنه كثيرا و يعتده اعظم نعمة انعم الله بها على عباده و يرى الوقوف عند حدوده · واما الحكومة فيجب ان تقوم على العدل فتجزي المحسن باحسانه وتجازي المسيء باساءته ولا فضل لاحد على احد عندها الا بالطاعة والاخلاص · واما رأس الحكومة فمقدس وواجب الاطاعة والمداراة ولا تصلح الناس الا به اذا كان عادلا وما اجل خطر الملك عند ابن المقفع في امور الدين والدنيا فبصلاحه صلاح الرعية و بفساده فسادها وحقه على الناس اعظم

من حق الناس عليه وذلك رأي فارسي لان الفرس كانوايعتقدون ان الا كاسرة يستمدون سلطتهم من الله . وقد شغل السلطان جزأ كبيرا من حكمة ابن المقفع فمن ذلك قوله : « الناس على دين السلطان الا القليل فليكن للبر والمروءة عنده نفاق فسيكسد بذلك الفجور والدناءة في آفاق الارض »

وقوله : « لا تكونن صحبتك للسلطان الا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقتهم فيما خالفك وتقدير الامور على اهوائهم دون هواك فان كنت حافظا اذا ولوك حذرا اذا قربوك امينا اذا ائتمنوك تعلمهم وكأنك تتعلم منهم وتؤدبهم وكأنك تتأدب بهم وتشكر لهم ولا تكلفهم الشكر ذليلا اذا صرموك راضيا ان اسخطوك ، والا فالبعد منهم كل البعد والحذر منهم كل الحذر . وان وجدت عن السلطان وصحبته غنى فاستغن به فانه من يخدم السلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ومن يخدمه بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخره »

وقوله وهو غاية في طاعة السلطان ومداراته : « جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ولا يجمعنك واياه مجلس

ولا منزل ولا تظهرن له عذرا ولا تثن عليه عند احد »

وابن المقفع يحب الشجاعة والكرم و يكره الجبن والحرص قال : « الجبن مقتلة والحرص محرمة فانظر فيما رأيت وسمعت من قتل في الحرب مقبلا اكثر ام من قتل مدبرا ؟ وانظر من يطلب اليك بالاجمال والتكرم احق ان تسخو نفسك له بالعطية ام من يطّلب اليك بالشره والحرص ؟ »

وهو يبغض الحسد و يراه من اكبر النقم على صاحبه حتى يرثي لمن ابتلي به قال : « اقل مالتارك الحسد في تركه ان يصرف عن نفسه عذابا ليس بمدرك به حظا ولا غائظ به عدوا فانا لم نر ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد طول اسف ومحالفة كآبة وشدة تحرق ولا يبرح زاريا على نعمة الله ولا يجد لها مزالا و يكدر على نفسه ما به من النعمة فلا يجد لها طعما ولا يزال ساخطا على من لا يترضاه ومتسخطا لما ان ينال فوقه فهو منغص المعيشة دائم السخط محروم الطلبة لا بما قسم له يقنع ولا على مالم يقسم له يغلب والمحسود يتقلب في فضل الله مباشرا للسرور منتفعا به ممهلا فيه الى مدة ولا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص »

وكذلك فانه ينهى عن الكذب ولو بالهزل قال : « لا

تهاونن بارسال الكذبة في الهزل فانها تسرع في ابطال الحق »

والبخل عنده من اسوأ الاخلاق قال : « الحرص والحسد بكرا الذنوب واصل المهالك اما الحسد فاهلك ابليس واما الحرص فاخرج آدم من الجنة »

وحب المدح والتقريظ معدود عنده من ضعف الرجل قال : « اياك اذا كنت واليا ان يكون من شأنك حب المدح والتزكية وان يعرف الناس ذلك منك فتكون ثلمة من الثلم يقتحمون عليك منها و بابا يفتتحونك منه وغيبة يغتابونك بها و يضحكون منك لها واعلم ان قابل المدح كمادح نفسه والمرء جدير ان يكون حبه المدح هو الذي يحمله على رده فان الراد له ممدوح والقابل له مغيب »

والثناء والاكرام لسلطان او مال جدير ان بالرد والامتهان قال : « اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزوالها ولكن ليعجبك ان اكرموك لدين او ادب »

وهو ينفر من الدين و يراه عنوان الذل قال : « الدين رق فانظر عند من تضع نفسك »

اما رأيه في النساء فمن اسوأ الاراء قال : « اياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى افن وعزمهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب خير لك من الارتياب وليس خروجهن باشد من دخول من لا تثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن عليك فافعل ولا تملكن امرأة من الامر ما جاوز نفسها فان ذلك انعم لحالها وارخى لبالها وادوم لجمالها وانما المرأة ريحانة وليست بقهرمانه فلا تعد بكرامتها نفسها ولا تعطها ان تشفع عندك لغيرها ولا تطل الخلوة مع النساء فيمللنك وتملهن واستبق من نفسك بقية فان امساكك عنهن وهن يردنك باقتدار خير من ان يهجمن عليك على انكسار واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة منهن الى السقم »

وفي رأيه ان اللذة في الحياة اخت التدبير والتقوى اذا كانت حلالاً قال : « على العاقل ان لا يكون راغبا الا في احدى ثلاث : تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم »

وقال : « لا عقل لمن اغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه وليس من العقل ان يحرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها »

وهناك امور اخرى تتفرع عن هذه الاصول تمثل كلها

على تهذيب الاخلاق و رياضة النفس على المكارم ستطلع على كثير منها في الفصل الذي سيعقد للمختار من كلامه ·

رميه بالزندقة

ما من احد ترجم لابن المقفع او اشار اليه الا روى انه كان يرمى بالزندقة حتى ان بعض مترجميه كعبد القادر البغدادي صاحب خزانة الادب عرفه بالزنديق وابن خلكان ذكره بمناسبة زندقة الحلاج · وقد زعم الناقلون انه كان منافقاً في اسلامه لم يسلم الا ابتغاء عرض الدنيا وانه كان يضمر المجوسية والتمسوا للمنصور وسفيان بن معاوية عذرا في قتله لانه افسد على الناس دينهم وحجتهم في ذلك ما روي عنه من انه مر ببيت نار المجوس بعد ان اسلم فتمثل بقول الاحوص :

يا بيت عاتكة الذي اتعزل
حذر العدا و به الفوءاد موكل
اني لامنحك الصدود واننى
قسما اليك مع الصدود لاميل

وانه قال في رثاء يحي بن زياد :

لقد جر نفعا فقدنـــا لك اننـــا

امنا على كل الرزايا من الجزع

فعزوا ذلك الى مذهب الزنادقة في ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير لان مبدأ العالم على قول ماني كونان احدهما نور والآخر ظلمة . وانه بدا له ان يعارض القرآن فالف الدرة اليتيمة ، وانه كان يصحب المتهمين في دينهم كمطيع بن اياس ويحيي ابن زياد ووالبة بن الحباب . وان المهدي قال : ماوجدت كتاب زندقة قط الا اصله ابن المقفع .

وكل ذلك ادلة لا يقام لها وزن في تكفير المؤمن واخراجه من ربقة الاسلام . نعم ليس من المعقول ان يتفق المترجمون على زندقة ابن المقفع من غير سبب معقول ولكن ذلك السبب خفي علي فلم اتبينه . قد يقال ان ابن المقفع ولد على المجوسية وشب عليها وانه قضى من عمره فيها اكثر مما قضى في الاسلام وان المتحول من دين الى آخر قد تعاوده عقيدته الاولى من غير قصد كما حدث لابن المقفع لما اخبر عيسى بن علي بعزمه على الاسلام فاستمهله عيسى الى الغد ثم حضر طعـــام عيسى عشية ذلك اليوم فجعل يأكل ويزمزم على عادة المجوس فلما استعظم عيسى ذلك

منه اعتذر اعتذار فطن لبق فقال كرهت ان ابيت على غير دين ـ ولكن كل ذلك اسباب واهية وفرضيات لا يأبه الاسلام لها ·

ارجع اذا شئت الى ما وصل الينا من كلام ابن المقفع وامنحه فرط تدبر واعره فضل تفهم واقرأ ما بين السطور كما يقولون فانك لن تجد فيه جملة تنز الى المجوسية بعرق او تضرب من الزندقة على وتر فما ادري بعد ذلك من اين استدل الناس على زندقته وكيده للاسلام فان كان من كلامه فليس هنالك مغمز الا ذلك التأويل البعيد الذي اولوا به قوله :

لقد جر نفعا فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع

وهو معنى عربي شائع لا يمت الامذاهب الفرس بسبب ومثله قول اعرابية:

فاما وقد اصبحت في قبضة الردى

فشأن المنايا فلتصب من بدالها

وقول ابي نواس :

وكنت عليه احذر الموت وحده

فلم يبق لي شيء عليه احاذر

وان كان استدلالهم على زندقته بافعاله فلم يرشدونا الى شيء مقنع منها · والايمان كما لا يخفى امر وجداني لا يمكن لاحد ان يحكم

عليه بطريق الحدث والتخمين ·

اذا قصدوا بالزندقة جحد اركان الاسلام ومخالفة احكامه والطعن عليه والكيد له فابن المقفع لم يثبت عليه شيء من ذلك وان ارادوا بها التهاون بالفرائض وصحبة المتهمين في دينهم والتفكير الحر فقد يكون ابن المقفع زنديقا ·

لا انكر ان الفرس ادخلوا شبهات كثيرة على الاسلام وان بعضهم دعا الى مقالات تخالفه وان بعض اراء المانوية استهوت بعض الناس ولكن الباحث لا يقدر ان يثبت بالبرهان شيئا من ذلك على ابن المقفع ·

كتبه

الف ابن المقفع وترجم عددا صالحا من الكتب مع انه قتل في مقتبل العمر والذي بقي من آثاره لا يزال درة في تاج الادب العربي فمنها:

١ — كتاب كليلة ودمنة: وهو احد الكتب الخالدة المجمع على جودتها والذي استساغته اذواق اكثر الامم فنقلته الى لغاتها وكان اصلا في الادب المروي عن السنة الحيوانات عند جميع الامم والكتاب يرمي الى تهذيب الاخلاق واصلاح النفوس وضعه باللغة السنسكريتية فيلسوف هندي اسمه بيدبا للملك دبشليم الذي

يقال انه تولى بعد فتح الاسكندر ، وجعل مواعظه ونصائحه جارية على السن البهائم والطيور لاعتقاد البراهمة تناسخ الارواح على رأي المرحوم جرجي زيدان ٠

وابواب الكتاب الهندية اثنا عشر وهي: باب الاسد والثور، باب الحمامة المطوقة ، باب البوم والغربان ، باب القرد والغيلم ، باب الناسك وابن عرس ، باب الجرذ والسنور ، باب الملك والطائر فنزه ، باب الاسد وابن آوى والناسك ، باب اللبوءة والاسوار والشعر ، باب ايلاذ وبلاذ وايرخت ، باب السائح والصائغ ، باب ابن الملك واصحابه ٠

ونقل عن اللغة السنسكريتية الى لغة التبيت كما انه جلب الى بلاد فارس في القرن السادس للميلاد ونقله عن السنسكريتية الى الفهلوية اي الفارسية القديمة برزويه بن ازهر بامر كسرى انوشروان وزيد في الترجمة الفهلوية ثلاثة ابواب هي : مقدمة برزويه ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان ٠

وعن الفلهوية كانت الترجمة السريانية الاولى حوالي سنة ٥٧٠ للميلاد ٠ وعن الفاهونة ايضا نقله ابن المقفع وزاد فيه ستة ابواب هي : مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف

يعلي ابن الشاه الفارمي ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ، وباب الفحص عن امر دمنة ، وباب الناسك والضيف ، وباب مالك الحزين والبطة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين ·

ثم فقد الاصل الهندي والفهلوي ولم يبق من التراجم الاولى غير الترجمة العربية لابن المقفع وعنها نقلته الامم الى لغاتهم · وهذه التراجم التي ترجع كلها الى ترجمة ابن المقفع : السريانية — مرة ثانية — واليونانية والفارسية والعبرية واللاتينة والاسبانية والطليانية والروسية والتركية والالمانية والانكليزية والدانيمركية والهولندية والافرنسية ·

وقد اقبل عليه العرب فنظمه بعض الشعراء شعرا اولهم ابو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي من خدم المنصور وابنه المهدي ، وابان بن عبد الحميد اللاحقي نظمه باشارة البرامكة واوله :

هذا كتاب ادب ومحنة

وهو الذي يدعى كليله ودمنه

فيه احتيالات وفيه رشد

وهو كتاب وضعته الهند

ونظمه علي بن داود كاتب زبيدة زوج الرشيد ، ونظمه

بشر بن المعتمد وكل هذه المنظومات فقدت .

ونظمه ايضا ابن الهبارية المتوفي سنة ٥٠٤ وسماه « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » وهو مطبوع .

ثم نظمه ابن مماتي المصري المتوفي سنة ٦٠٦ كما نظم اقساما منه عبد المؤمن بن الحسن من اهل القرن السابع وكذلك نظمه جلال الدين النقاش من اهل القرن التاسع وكل ذلك غير مطبوع

ونقل كتاب كليلة ودمنة ايضا عبد الله بن هلال الاهوازي نقله ليحيى بن خالد بن برمك في خلافة المهدي، وعارضه سهل ابن هرون احد كتاب المأمون بكتاب اسمه ثعله وعفره وكلاهما غير موجود .

ومن هنا يظهر لك مبلغ خطر هذا الكتاب والضجة التي قامت حوله والاثر الذي اثره في الادب .

٢ — كتاب الادب الصغير : في الادب والحكمة والمواعظ اول من عثر عليه الشيخ طاهر الجزائري وجده ضمن مجموعة في بعلبك فنشره في مجلة المقتبس ثم نشر مع رسائل البلغاء ثم طبع على حدة بتصحيح احمد زكي باشا والكتاب لطيف الحجم رائع الاسلوب واضح المعاني وليس كل ما فيه من الحكم من نتاج ابن المقفع لانه

يقول فيه « وقد صنعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلية ابصارها واحياء للتفكير ... الخ » ولكن له الفضل في سبكها وصوغها وابرازها بذلك المظهر الفتان .

٣ — كتاب الادب الكبير : في الاخلاق والنصائح وآلاداب والحكم ويمكن تقسيمه من حيث الموضوع الى قسمين الاول في السلطان والثاني في الصديق وهو شبيه بالادب الصغير في غايته ولكن بعض فصوله اطول وقد طبع بعنوان (الدرة اليتيمة)ويغلب على الظن انه غيرها ولغة ابن المقفع في الادبين اجزل منها في كليلة ودمنة .

٤ — كتاب الدرة اليتيمة : قال الاصمعي صنف ابن المقفع كثيرا من المصنفات الحسان منها الدرة اليتيمة التي لم يصنف في فنها مثلها . وقد ضرب ابو تمام الطائي المثل في بلاغتها بقوله للحسن بن وهب :

لقد شهدتك والكلام لآلىء
توءم فبكر في الكلام وثيب
فكأن قسا في عكاظ يخطب

وكأن ليلى الاخيلية تندب

وكثير عزة يوم بين ينسب

وابن المقفع في اليتيمة يسهب

وقد زعموا انه عارض بها القرآن ولكن الباقلاني يقول ان كتاب اليتيمة منسوخ من كتاب بزرجمهر في الحكمة . والدرة اليتيمة لا تزال مكنونة لا يعرف محلها .

٥ — فقر في الحكم ورسائل متفرقة وتحميدات لابن المقفع موجودة في رسائل البلغاء .

٦ - كتاب خداينامه في السير « سير ملوك العجم » نقله ابن المقفع عن الفارسية يقول عنه المستشرق الانكليزي الاستاذ براون في تاريخ آداب الفرس انه اجل خطرا من كتاب كليلة ودمنة . ويظن المستشرق الانكليزي الاستاذ نيكلسون في كتابه تاريخ آداب العرب ان هذا الكتاب كان مثالا للعرب في تدوين التاريخ . وهو مفقود .

٧ — كتاب التاج في سيرة انوشروان نقله عن الفارسية وهو مفقود .

٨ — كتاب مزدك : نقله ابن المقفع عن الفارسية ونقله ايضا

ابان بن عبد الحميد اللاحقي الذي نظم كتاب كليلة ودمنه ·
اول ما يتبادر الى الذهن ان هذا الكتاب يبحث عن مذهب مزدك ولكن الاستاذ براون ذكر في كتابة تاريخ آداب الفرس نقلا عن نولدكي انه كتاب ادب وضع للتسلية ويعتبر بمصاف كليله ودمنه ولا تضر قراءته مسلما والكتاب مفقود ·

٩ — كتاب آيين نامه نقله عن الفارسية وهو غيرموجود·
اما كتب المنطق اليونانية التي ترجمها عن الفارسية فهي :

١٠ - كتاب قاطيغورياس ومعناه المقولات لا رسطو قال ابن النديم : ولهذا الكتاب مختصرات وجوامع مشجرة وغير مشجرة لجماعة منهم ابن المقفع ·فيظهر من ذلك انه لم يترجمه ترجمة حرفية بل تصرف به بالاختصار والتلخيص ·

١١ — كتاب باريمينياس ومعناه العبارة لارسطو ايضا قال ابن النديم ان ترجمة ابن المقفع من المختصرات ·

١٢ - كتاب انا لوطيقا ·

١٣ — المدخل الى كتب المنطق المعروف بايساغوجي فرفوريوس الصوري ·قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء : وعبارته في الترجمة سهلة قريبة المأخذ ·وكل هذه الكتب مفقود ·

وكتب المنطق هذه نقلها ابن المقفع عن الفارسية ولم ينقلها عن اليونانية ·

اسلوبه وخصائصه

ابن المقفع هو امام الطبقة الاولى من كتاب العصر العباسي وصاحب الطريقة التي آخت بين التفكير الفارسي والبلاغة العربية · وهو كاتت حكيم تغلب عليه الحكمة في كل شيء وكل ما وصل الينا من اثاره لا يخرج عن المواضيع الحكمية فكليلة ودمنة والادبان الكبير والصغير كتب ترمي الى تهذيب الاخلاق واصلاح النفوس وكذلك قل عن اكثر كتبه التي لم تصل الينا · ولقد كان القفطي موفقا لما عده من الحكماء ·

لم يكن ابن المقفع حكيما في اغراضه ومعانيه فقط بل هو حكيم في الفاظه وتراكيبه كما سترى عند الكلام على صناعته اللفظية ·

تظهر مزية ابن المقفع في ترتيب افكاره وحسن تقسيمها ولعل ذلك نتيجة دراسته للحكمة الفارسية والفلسفة الهندية واليونانية مع صحة طبعه · فانت لا تجد في حكمه ذلك التفكك

وتلك الوثبات التي تجدها في حكم الجاهليين ومواعظهم . على انه كان مقتصدا في ترتيب تلك الافكار فلم يغرق في ربط المناسبات بحيث اذا شرعت في موضوع لا تدري كيف تنتهي منه كما يفعل بعض علماء الاخلاق .

ما رزقت العربية كاتبا حبب الحكمة الى النفوس كابن المقفع فانه يعمد الى الحكمة العالية فلا يزال يروضها بعذوبة الفاظه ويستنزلها بسلاسة تراكيبه حتى يبرزها الى الناس سهلة المأخذ بادية الصفحة فهو من هذه الجهة اكتب الحكماء واحكم الكتاب .

قل ان تجد كاتبا لا يستعين في انشائه بالمبالغة والغلو وسحر الالفاظ ورنينه بل ربما كان ذلك من اقوى العناصر في فن الكاتب الا ان ابن المقفع فانه واجه الحقائق وحدث عنها حديثا صادقا لا تزيد فيه وكان مع ذلك من ابلغ المنشئين .

ابن المقفع كاتب لا تستهلك معانيه الفاظه ولا تغتال الفاظه معانيه فليس هناك لف ولا دوران ولا ترادف ولا اسجاع بل تراه يقدر اللفظ على المعنى تقديرا يدل على براعة فائقة وذوق حسن وطبع صحيح مع الفاظ متخيره قال الراغب الاصبهاني : كان ابن المقفع كثيرا ما يقف اذا كتب فقيل له في ذلك فقال : ان

الـكلام يزدحم في صدري فاقف لتخيره ·

اظهر ما في اسلوبه السهولة والوضوح والجرى مع الطبع وعدم التعقيد والاغراب ولقد عرف البلاغة تعريفا بارعا بقوله: « البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلهـا » وقال لبعض الكتاب : « اياك والتتبع لوحشي الـكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر » · ولكنه كما كان يتجنب التقعر فقد كان يكره الاسفاف والتبذل قال يوصي كاتبا :« عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب لالفاظ السفلة »

ومن خصائصه وضع الشيء في محله وايفـاء الموضوع حقه مع نفوذ بصر وسمو ادراك روى الجـاحظ في البيان والتبيين عن اسحق بن حسان بن فوهة انه قال : لم يفسر البـلاغة تفسير ابن المقفع احد قط ، سئل ما البلاغة ؟ فقال : « البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنهـا ما يكون في الاستماع ومنها مايكون في الاشارة ومنها مايكون في الحديث ومنها مايكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنهـا ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحي

فيها والاشارة الى المعنى ٠ والايجاز هو البلاغة ٠

فاما الخطب بين السماطين وفي اصلاح ذات البين فالاكثار في غير خطل والاطالة في غير املال قال وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير ابيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته ٠ فقيل له فان مل المستمع الاطالة التي ذكرت انها حق ذلك الموقف ، قال اذا اعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانهما لا يرضيهما شيء واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضى جميع الناس شيء لا تناله وقد كان يقال رضاء الناس شيء لا ينال ٠

لا اعرف بليغا كاتبا كان او شاعرا تفهمه العامة وتأنس به وتكبره الخاصة بل تعجز عن مجاراته الا ابن المقفع ٠

نعم قد يشابهه ابو العتاهية الشاعر من حيث السهولة وانه لا يدق عن فهم العامة ولكن شتان ما هما ففي شعر ابي العتاهية من المآخذ والمغامز ما يطول استقصاؤه اما ابن المقفع فلم يؤخذ عليه في كل ما كتب الا حرف واحد ٠ قال المعري في عبث الوليد :
« كان المتقدمون من اهل العلم ينكرون ادخال الالف واللام على

كل و بعض وروي عن الاصمعي انه قال كلاما معناه قرأت آداب ابن المقفع فلم ار فيها لحنا الا في موضع واحد وهو قوله «العلم اكبر من ان يحاط به فخذوا البعض»

ادب ابن المقفع وان كان عربيا مبينا في الالفاظ والتراكيب فانه اعجمي فى الجمع والتأليف فهو لا يكاد يستشهد بشعر العرب ولا يتمثل بامثالهم ولا يروي حكمهم ومواعظهم ولا يسمي فصحاءهم لا يشير الى ايامهم كما تجد ذلك في آثار جمهرة كتاب العرب كالجاحظ واضرابه . فهو من هذه الجهة اما مترجم عن الفرس او متصرف بالمعاني الشائعة او مستمد من صوب عقله .

يقصد الى المعنى بعناية بالغة فاذا تم له تصوره قدر له من اللفظ ثوبا ليس بالفضفاض ولا بالضيق مع زهد بالسجع الا ماجاء عفوا من غير تعمل . فاسلوبه اسلوب المساواة بين اللفظ والمعنى على ان في كلامه كثيرا من الايجاز ولكنه غير الايجاز المعجز الذي اختص به العرب الخلص واستبدت به بلاغة العرب خاصة من دون جميع اللغات . واكثر ما تجد هذا النوع من الايجاز الحاد المعجز في القرآن الكريم والحديث الشريف وامثال العرب وحكمهم وكلام الخلفاء الراشدين وغيرهم من بلغاء العرب

وفصحاء الاعراب ·

مثال ذلك : « ولكم في القصاص حياة » و « انما الاعمال بالنيات » و « اطلب الموت توهب لك الحياة » و« قيمة كل امريء ما يحسن » و « الشجاع موقى » وقول بعض الاعراب :

ما غاض دمعي عند نائبة الا جعلتك للبكا سببا

ومثل ذلك كثير لا محل لاستقصائه هنا · ولقد روى عن ابن المقفع نفسه انه بدا له ان يعارض القرآن فلما وصل الى قوله تعالى في سورة نوح : « وقيل يا ارض ابلعي ماءك و ياسماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » قال هذا مالا يستطيع البشران يأتوا بمثله ·

ولا يخفى ان الاسهاب والايجاز امران اعتباريان بالنسبة لكل عصر فابن المقفع مسهب بالنسبة لمن تقدمه من البلغاء موجز بالنسبة لمن اتى بعده من الكتاب ولكن ايجازه غير ايجاز العرب الخلص الذي سبقت اليه الاشارة ·

وكلام ابن المقفع مع اتساقه وتساوقه وجريه مع الطبع يسهل تارة و يجزل اخرى كقوله وفيه من القوة والمتانة مافيه : (وقد اصبح الناس الا قليلا ممن عصم الله مدخولين منقوصين فقائلهم

باغ وسامعهم عياب وسائلهم متعنت ومجيبهم متكلف وواعظهم غير محقق لقوله بالفعل وموعوظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف ومستشيرهم غير موطن نفسه على انفاذ ما يشار به عليه ... الخ)

اما اثره في الانشاء العربي فعظيم جدا يدلنا على ذلك اقبال الناس على آثاره بالقراءة والحفظ والنظم والمعارضة منذ القرن الذي عاش فيه كما مر ذلك عند الكلام على كايلة ودمنة . ولا تزال آثاره الباقية حتى الآن حية تقرأ وتدرس وتستظهر بشوق ولذة مع قدم عهدها وستبقى خالدة ما بقيت العربية . ولا يزال اسلوبه مثالا عاليا في الانشاء يحتذيه كثير من الادباء ويدعو اليه وهذه مزية لم تتح لغيره من كتاب العربية واكاد اقول من كتاب سائر اللغات .

شعره

لابن المقفع شعر قليل وصفوه بالجودة وهو معدود من شعراء الكتاب المقلين . ولكنه كان لا يرتضي شعر نفسه . قيل له لم لا تقول الشعر ؟ فقال : الذي ارضاه لا يجيئني والذي يجيئني لا ارضاه . ولم يبق من شعره الا ابيات قليلة منها ثلاثة ابيات رثى

بها صديقه يحيى بن زياد الحارثي رواها ابو تمام الطائي في كتاب الحماسة وهي :

رزئنا ابا عمرو ولا حي مثله
فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا
ذوي خلة مافي انسداد لها طمع
فقد جر نفعا فقدنا لك اننا
امنا على كل الرزايا من الجزع

وروى له الراغب الاصبهاني في كتابه المحاضرات قوله في الشراب :

سأشرب ما شربت على طعامي
ثلاثا ثم اتركه صحيحا
فلست بقارف منه اثاما
ولست براكب منه قبيحا

وروى له القاضي عبد العزيز الجرجاني في كتاب الوساطة هذا البيت :

ويقتلني فيقتل بي كريما يموت بموته بشر كثير

وجعله مصدرا لقول المتنبي :

غدرت ياموت كم افنيت من عدد

بمن اصبت وكم اسكت من لجب

وشعر ابن المقفع كما ترى ينادي على نفسه بانه شعر كاتب لاشاعر (٠)

نصوص من كلام ابن المقفع

امثلة من الادب الصغير

١

على العاقل – ما لم يكن مغلوبا على نفسه – ان لا يشغله شغل عن اربع ساعات : ساعة يرفع فيها حاجته الى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها الى اخوانه وثقاته الذين يصدقونه عن عيوبه وينصحونه في امره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل. فان هذه الساعة عون على الساعات الاخر وان استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل بلغة.

٢

وعلى العاقل ان لا يكون راغبا الا في احدى ثلاث : تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة في غير محرم.

٣

احق الناس بالسلطان اهل المعرفة واحقهم بالتدبير العلماء واحقهم بالفضل اعودهم على الناس بفضله واحقهم بالعلم احسنهم تأديبا واحقهم بالغنى اهل الجود واقربهم الى الله انفذهم في الحق.

علما واكلهم به عملا واحكمهم ابعدهم من الشك في الله واصوبهم رجاء اوثقهم بالله واشدهم انتفاعا بعلمه ابعدهم من الاذى وارضاهم في الناس افشاهم معروفا واقواهم احسنهم معونة واشجعهم اشدهم على الشيطان وافلجهم بحجة اغلبهم للشهوة والحرص وآخذهم بالرأي اتركهم للهوى واحقهم بالمودة اشدهم لنفسه حبا واجودهم اصوبهم بالعطية موضعا واطولهم راحة احسنهم للامور احتمالا واقلهم دهشا ارحبهم ذراعا واوسعهم غنى اقنعهم بما اوتى واخفضهم عيشا ابعدهم من الافراط واظهرهم جمالا اظهرهم حصافة وآمنهم في الناس آكلهم نابا ومخلبا واثبتهم شهادة عليهم انطقهم عنهم واعدلهم فيهم ادومهم مسالمة لهم واحقهم بالنعم اشكرهم لما اوتى منها ·

٤

افضل ما يورث الآباء الابناء الثناء الحسن والادب النافع والاخوان الصالحون ·

٥

اذا هممت بخير فبادر هواك لا يغلبك واذا هممت بشر فسوف هواك لعلك تظفر فان ما مضى من الايام والساعات على ذلك هو الغنم ·

٦

لا يمنعك صغر شأن امرئ من اجتناء ما رأيت من رأيه صوابا والاصطفاء لما رأيت من اخلاقه كريما فان اللوءلوءة الفائقة لاتهان لهوان غائصها الذي استخرجها .

٧

اعدل السير ان تقيس الناس بنفسك فلا تأتي اليهم الا ما ترضى ان يوءتى اليك .

٨

ومن احسن ذوي العقول عقلا من احسن تقدير امر معاشه ومعاده تقديرا لا يفسد عليه واحدا منهما نفادا لآخر فان اعياه ذلك رفض الادنى وآثر عليه الاعظم .

٩

وكان يقال الرجال اربعة : اثنان تختبر ماعندهما بالتجربة واثنان قد كفيت امر تجربتهما .

فاما اللذان تحتاج الى تجربتهما فان احدهما بر كان مع ابرار والآخر فاجر كان مع فجار فانك لاتدري لعل البر منهما اذا خالط الفجار ان يتبدل فيصير فاجرا ولعل الفاجر منهما اذاخالط

الابرار ان يتبدل برا فيتبدل البر فاجرا والفاجر برا

واما اللذان قد كفيت تجربتهما وتبين لك ضوء امرهما فان احدهما فاجر كان في ابرار وآلاخر بر كان في فجار ·

١٠

حق على العاقل ان يتخذ مرآتين فينظر من احداهما في مساويء نفسه فيتصاغر بها ويصلح ما استطاع منها وينظر في الاخرى في محاسن الناس فيحليهم بها ويأخذ ما استطاع منها ·

١١

وكان يقال : عمل الرجل فيما يعلم انه خطأ هوى (والهوى آفة العفاف) وتركه العمل فيما يعلم انه صواب تهاون (والتهاون آفة الدين) واقدامه على ما لا يدري اصواب هو ام خطأ جماح (والجماح آفة العقل) ·

١٢

امور لا تصلح الا بقرائنها : لا ينفع العقل بغير ورع ولا الحفظ بغير عقل ولا شدة البطش بغير شدة القلب ولا الجمال بغير حلاوة ولا الحسب بغير ادب ولا السرور بغير امن ولا الغنى بغير جود ولا المروءة بغير تواضع ولا الخفض بغير كفاية ولا الاجتهاد

بغير توفيق .

١٣

اغتنم من الخير ما تعجلت ومن الاهواء ماسوفت ومن النصب ما عاد عليك ولا تفرح بالبطالة ولا تجبن عن العمل .

١٤

من استعظم من الدنيا شيئاً فبطر واستصغر من الدنيا شيئاً فتهاون واحتقر من الاثم شيئاً فاجترأ عليه واغتر بعدو وان قل فلم يحذره فذلك من ضياع العقل .

١٥

ان المستشير وان كان افضل من المستشار رأيا فهو يزداد برأيه رأيا كما تزداد النار بالودك ضوءاً .

١٦

اربعة اشياء لا يستقل منها قليل النار والمرض والعدو والدين .

١٧

وسمعت العلماء قالوا : لاعقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق ولاغنى كالرضى واحق ما صبر عليه مالا سبيل الى تغييره وافضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترســال ورأس

العقل المعرفة بما يكون وما لا يكون وطيب النفس حسن الانصراف عما لا سبيل اليه وليس من الدنيا سرور يعدل صحبة الاخوان ولا فيها غم يعدل غم فقد هم ٠

١٨

لا تعد غنيا من لم يشارك في ماله ولا تعد نعيما ما كان فيه تنغيص وسوء ثناء ولا تعد الغنم غنما اذا ساق غرما ولا الغرم غرما اذا ساق غنما ولا تعتد من الحياة ما كان في فراق الاحبة ٠

١٩

ومن المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الاخ اخاه وافضاء كل واحد منهما الى صاحبه بثه واذا فرق بين الاليف واليفه فقد سلب قراره وحرم سروره ٠

امثلة من الادب الكبير

١

انما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال : اما مهانة يجدها في نفسه وضرع وحاجة الى تصديق الناس اياه ، واما عي بالكلام حتى يجعل الايمان له حشوا ووصلا ، واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل منه قوله الا بعد جهد اليمين واما عث في القول او ارسال اللسان على غير روية ولا تقدير ·



لاتعتذرن الا الى من يحب ان يجد لك عذرا ولا تستعينن الا بمن يحب ان يظفر لك بحاجتك ·

٣

لا تجترئن على خلاف اصحابك عند الوالي ثقة باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك فانا قد رأينا الناس يعرفون فضل الرجل و ينقادون له ويتعلمون منه وهم اخلياء فاذا حضروا ذا

السلطان لم يرض احد منهم ان يقر له وان يكون له عليه في الرأي والعلم فضل فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض فان ناقضهم كان كاحدهم وليس بواجد في كل حين سامعا فهما وقاضيا عـدلا وان ترك مناقضتهم صار مغلوب الرأي مردود القول ·

٤

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك وللعامة بشرك وتحننك ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل احد ·

٥

ان آثرت ان تفاخر احدا ممن تستأنس اليه في لهو الحديث فاجعل غاية ذلك الجد ولا تعدون ان تتكلم فيه بما كان هزلا فاذا بلغ الجد او قاربه فدعه ولا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جدا فانك ان خلطت بالجد هزلا هجنته وان خلطت بالهزل حدا كدرته غير اني قد علمت موطنا واحدا ان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل اصبت الرأي وظهـرت على الاقران وذلك ان يتوردك متورد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذراع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق ·

٦

ان رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو احد الرجلين ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع مواطنه لك اقربها من عدوك لشر يكفه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك فاما صديقك فما اغناك ان يحضره ذو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك فباي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس الا من تهوى ·

٧

واذا رأيت رجلا يحدث حديثا قد علمته او يخبر خبرا قد سمعته فلا تشاركه فيه ولا تتعقبه عليه حرصا على ان يعلم الناس انك قد علمته فان في ذلك خفة وشحا وسوء ادب وسخفا ·

٨

احفظ قول الحكيم الذي قال : لتكن غايتك فيما بينك وبين عدوك العدل وفيما بينك وبين صديقك الرضى وذلك ان العدو خصم تضر به بالحجة وتغلبه بالحكام وان الصديق ليس بينك وبينه قاض فانما حكمه رضاه ·

٩

حبب الى نفسك العلم حتى تألفه وتلزمه ويكون هو لهوك ولذتك وسلوتك و بلغتك واعلم ان العلم علمان علم للمنافع وعلم لتزكية العقل وافشى العلمين واجداهما ان ينشط له صاحبه من غير ان يحرض عليه علم المنـافع وللعلم الذي هو ذكاء العقول وصقالها وجلاوءها فصيلة منزلة عند اهل الفضل في الالباب ·

١٠

ليكن مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك الا تـكون حسودا فان الحسد خلق لئيم ومن لوءمه انه يوكل بالادنى فالادنى من الاقارب والاكفاء والخلطاء فليكن ما تقابـل به الحسد ان تعلم ان خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وان غنما لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقتبس من علمه وافضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل منك في المال فتفيد من ماله وافضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه وافضل منك في الدين فتزداد صلاحا بصلاحه ·

١١

لا تجالس امرأ بغير طريقته فانك ان اردت لقاء الجاهل بالعلم والجافي بالفقه والعي بالبيان لم تزد على ان تضيع عقلك وتؤذي جليسك بحملك عليه ثقل مالا يعرف وغمك اياه بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الاعجمي الذي لا يفقه. واعلم انه ليس من علم تذكره عند غير اهله الا عادوه ونصبوا له ونقضوه عليك وحرصوا على ان يجعلوه جهلا حتى ان كثيراً من اللهو واللعب الذي هو اخف الاشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به.

١٢

اتق الفرح عند المحزون واعلم انه يحقد على المنطلق ويشكر للمكتئب.

١٣

اعلم ان خفض الصوت وسكون الريح ومشي القصد من دواعي المودة اذا لم يخالط ذالك بأو ولا عجب اما العجب فهو من دواعي المقت والشنآن.

١٤

تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام ومن حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت الى الجواب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعي لما يقول ·

١٥

اذا كنت في قوم ليسوا بلغاء ولا فصحاء فدع التطاول عليهم في البلاغة او الفصاحة ·

١٦

اعلم ان بعض شدة الحذر عون عليك فيما تحذر وان شدة الاتقاء تدعو اليك ما تتقى ·

١٧

اني مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني وكان رأس ما اعظمه عندي صغر الدنيا في عينه كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان خارجا من سلطان فرجه فلا يدعو اليه موءنة ولا يستخف له رأيا ولا بدنا وكان خارجا من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة

وكان اكثر دهره صامتا فاذا قال بذ القائلين وكان يرى ضعيفا مستضعفا فاذا جاء الجد فهو الليث عاديا وكان لا يدخل في دعوى ولا يشرك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضيا عدلا وشهودا عدولا وكان لا يلوم احدا على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الولي ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه بحيلته وقوته ٠

فعليك بهذه الاخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق ٠

امثلة من رسائله

١

كتب يعزي عن ولد :

انما يستوجب على الله وعده من صبر لله بحقه فلا تجمعن الى ما فجعت به من ولدك الفجيعة بالاجر عليه والعوض منه فانها اعظم المصيبتين عليك وانكى المرزيتين لك اخلف الله عليك بخير وذخر لك جزيل الثواب ·



وكتب في حاجة :

اما بعد فان من قضى الحوائج لاخوانه واستوجب بذلك الشكر عليهم فلنفسه عمل لا لهم · والمعروف اذا وضع عند من لايشكره فهو زرع لا بد لزارعه من حصاده او لعقبه من بعده · وكتبت اليك ولحالنا التي نحن بها فيما نذكرك حاجة اول ما فيها معروف تستوجب به الشكر علينا وتدخر به الايادي قبلنا ·

٣

وكتب يعزي عن ابنة :

جدد الله لك من هبته ما يكون خلفاً لك بما رزئته وعوضا من المصيبة به ورزقك من الثواب عليه اضعاف ما رزأك به منها · فما اقل كثير الدنيا في قليل الاخرة مع فناء هذه ودوام تلك ·

٤

وله من كتاب الى بعض اصدقائه :

كان من خبري بعدك اني قدمت بلد كذا فتهيأ لي بعض ماشخصت له والمحمود على ذلك الله عز وجل وانا على ان يأتيني خبرك محتاج فاما جملة خبري في فراقك فقلبي مكة كل ماسواك حرام فيها ·

٥

وكتب الى يحيى بن زياد الحارثي ابتداء في المواخاة :

اما بعد فان اهل الفضل في اللب والوفاء في الود والكرم في الخلق لهم من الثناء الحسن في الناس لسان صدق يشيد بفضلهم ويخبر عن صحة ودهم وثقة مؤاخاتهم فيتخير اليهم رغبة الاخوان ويصطفي لهم سلامة صدورهم ويجتني لهم ثمرة قلوبهم فـلا مثني افضل تقريظا ولا مخبر اصدق احدوثة منه ·

وقد لزمت من الوفاء والكرم فيما بينك وبين الناس طريقة

محمودة نسبت الى مزيتها في الفضل وجمل بها ثناؤك في الذكر وشهد لك بها لسان الصدق فعرفت بمناقبها ووسمت بمحاسنها فاسرع اليك الاخوان برغبتهم مستبقين يبتدرون ودك ويصلون حبلك ابتدار اهل التنافس في حظ رغيب نصبت لهم غاية يجري اليها الطالبون ويفوز بها السابقون · فمن اثبت الله عندك بموضع الحرز والثقة وملاء بك يده من اخي وفاء ووصلة واستنام منك الى شعب مأمون وعهد محفوظ وصار مغموراً بفضلك عليه في الود يتعاطى من مكافأتك مالا يستطيع ويطلب من اثرك في ذلك غاية بلوغها شديد · فلو كنت لا تؤاخي من الاخوان الا من كافأ بودك وبلغ من الغايات حدك ما آخيت احدا ولصرت من الاخوان صفرا ولكن اخوانك يقرون لك بالفضل وتقبل انت ميسورهم من الود ولا تجشمهم كلف مكافأتك ولا بلوغ فضلك فيما بينك وبينهم فانما مثلك في ذلك ومثلهم كما قال الاول :

ومن ينازع سعيد الخير في حسب

ينزع طليحا ويقصر قيده الصعد

ولم ارد بهذا الثناء عليك تزكيتك ليكون ذلك قربة عندك وآخية لي لديك ولكن تحريت فيما وصفت من ذلك الحق والصدق

وتنكبت الاثم والباطل فان القليل من الصدق البريء من الكذب افضل من كثير الصدق المشوب بالباطل ·

ولقد وصفت من مناقبك ومحاسن امورك واني لاخاف الفتنة عليك حين تسمع بتزكية نفسك وذكرى ما ذكرت من فضلك لان المدح مفسدة للقلب مبعثة للعجب · ثم رجوت لك المنعة والعصمة لاني لم اذكر الا حقا والحق ينفي من اللبيب العجب وخيلاء الكبر ويحمله على الاقتصاد والتواضع ·

وقد رأيت اذ كنت في الفضل والوفاء على ما وصفت منك ان آخذ بنصيبي من ودك واصل وثيقة حبلي بحبلك فيجري بيننا من الاخاء اواصر الاسباب التي بها يستحكم الود ويدوم العهد وعلمت ان تركي ذلك غبن واضاعتي اياه جهل لان التارك للحظ داخل في الغبن والعائد عن الرشد مرجف الي الغي فارغب من ودي فيما رغبت فيه من ودك فاني لم ادع شيئا استتلي به منك الرغبة واجتر به منك المودة الاوقد اقتدت اليك ذريعته واعملت نحوك مطيته لترى حرصي على مودتك ورغبتي في مواخاتك والسلام ·

٦

وكتب في السلامة جواباً :

اما بعد فقد اتاني كتابك فيما اخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح من قبلك . وفي الذي ذكرت من ذلك نعمة مجللة عظيمة يحمد عليها وليها المنعم المتفضل المحمود . ونسأله ان يلهمنا واياك من شكره وذكره مابه مزيدها وتأدية حقها .

وسألت ان اكتب اليك بخبرنا ونحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال لو اطنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة ولا اعتراف بكنه الحق . فنرغب للذي تزداد نعمه علينا في كل يوم وليلة تظاهرا الا يجعل شكرنا منقوصا ولا مدخولا وان يرزقنا من كل نعمة كفاءها من المعرفة بفضله فيها والعمل في اداء حقها انه ولي قدير .

تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذي العظمة القاهرة والآلاء الظاهرة الذي لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه ولا يدفع قضاؤه ولا امره وانما قوله اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ·

والحمد لله الذي خلق الخلق بعلمه ودبر الامور بحكمه وانفذ فيما اختار واصطفى منها عزمه بقدرة منه عليها وملكة منه لها لا معقب لحكمه ولا شريك له في شيء من الامور يخلق ما يشاء ويختار ما كان للناس الخيرة في شيء من امورهم سبحان الله وتعالى عما يشركون ·

والحمد لله الذي جعل صفو ما اختار من الامور دينه الذي ارتضى لنفسه ولمن اراد كرامته من عباده فقام به ملائكته المقربون يعظمون جلاله ويقدسون اسماءه ويذكرون آلاءه لا يستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقام به من اختار من انبيائه وخلفائه واوليائه في ارضه يطيعون امره ويذبون عن محارمه ويصدقون بوعده ويوفون بعهده ويأخذون بحقه ويجاهدون عدوه وكان لهم عندما وعدهم من تصديقه قولهم

وافلاجه حجتهم واعزازه دينهم واظهاره حقهم وتمكينه لهم و كان امدوه وعدوهم عندما اوعدهم من خزيه واخلاله بأسهم وانتقامه منهم وغضبه عليهم مضى على ذلك امره ونفذ فيه قضاوءه فيما مضى وهو ممضيه ومنفذه على ذلك فيما بقي ايتمه ولو كره الكافرون ليحق الحق و يبطل الباطل ولو كره المجرمون ·

والحمد لله الذي لايقضي الامور ولا يدبرها غيره ابتدأها بعلمه وامضاها بقدرته وهو وليها ومنتهاها وولي الخيرة فيها والامضاء لما احب ان يمضي منها يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ·

والحمد لله الفتاح العليم العزيز الحكيم ذي المن والطول والقدرة والحول الذي لاممسك لما فتح لاوليائه من رحمته ولا دافع لما انزل باعدائه من نقمته ولا راد لامره في ذلك وقضائه يفعل مايشاء و يحكم مايريد ·

والحمد لله المثيب بحمده ومنه ابتداوءه والمنعم بشكره وعليه جزاءوه والمثني بالايمان وهو عطاوءه ·

امثلة من حكمه

اطلب الرحمة بالرحمة . من اهلك نفسه في مرضـاة غيره عظمت جنايته . التواضع يورث المحبة . الكبر مقرون به سـوء الظن . الجواد من بذل مايضن به . المتكلف لما لايعنيه متعرض لما يكره . الفكر مفتاح القلب . عمل البر خير صاحب . احسن العفو ما كان عن عظيم الجرم . الاعتراف يؤدي الى التوبة . الاصرار وعاء الذنوب . من عرف ثمار الاعمال كان حقيقـا ان لايغرس مرا . بالحزم يتم الظفر . من احب التزكيـة تعرض للضحكة . خسر من انفق حياته فى غير حقهـا . من الحق على السلطان رفع ذي الفضيلة وان يسد فـاقته . لارأي لمن انفرد برأيه . اكثر محادثة من يصدقك عن عيوبك . فسـاد الوالى اضر بالرعية من جدب الزمـان . كن في الحرص على معرفة عيبك بمنزلة عـدوك في معرفة ذلك . من حرم العقل رزيء دنيه وآخرته . لاتحمد نفسك على ماتركت من الذنوب عجزا . كثرة اعوان السوء مضرة بالعمل . احسن العمل الصالح ما كان بصدق النية .

الفهرس

صفحة

صفحة

جدول الخطأ والصواب

خطأ	صواب	سطر	صفحة
اتيحان	لتيجان	٩	٣
لادب	الادب	٢	٦
وتريب	وتعريب	١٦	٢٠
يحمل	يجعل	٨	٢٢
فلم	فلما	١٢	٢٢
ىن	بن	٣	٢٤
الاذب	الادب	٢	٢٧
هم	هم	١٥	٣١
التقاربر	التقارير	٢	٣٦
ذهب	اذهب	٨	٤٥
الحدث	الحدس	١	٥٥
والشعر	والشعهر	٨	٥٦
الفلهوية	الفهلوية	١٥ و ١٦	٥٦

خطأ	صواب	سطر
الفارسى	الفارسي	١
لقد	ولقد	١٥
كاتت	كاتب	٦
المناسنات	المناسات	٣
بادبة	بادية	٨
الاانابن المقفع	الا ابن المقفع	١١
الاحتحاج	الاحتجاج	١٥
لايشير	ولا يشير	٧
بدل	ابدل	٦
وتحننك	وتحيتك	٧

انتظروا الرسالة الثالثة من ائمة الادب

الوزيران

ابن العميد و الصاحب بن عباد

ترجمة دراسة مختارات